

الدكتور محمد رجب البيومي

عالمان كبيران يتنافسان

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي

عميد كلية اللغة العربية بالمنصورة

* * *

— ١ —

كنت احفظ صغيرا قصة الدبة الجاهلة التي ارادت ان تذود عنها الذباب عن وجه صاحبها النائم فرمته بحجر ثقيل هشمه ، وقضى على حياته ، فكانت بجهلها الغاشم شرا عليه من اعدى اعدائه ، وهي خرافة ذات مغزى خلقي ، يوحي باجتناب الحمقى ومباعدة الجهلاء ، مهما صفت منهم القلوب وخلصت النيات ، ولست اليوم في حديث العدو العاقل بمتخذ طريق الاسطورة ، ولكني سأنقل عن صحائف التاريخ لتكون العبرة اوضح ، والقدوة اهدى الى الاتباع .

ان اصطدام الناس — والعلماء منهم — في معارك الكسب والارتزاق ، وطموحهم الى منازل الرئاسة ، ومناصب الجاه ، يجعل الحياة شبيهة بمعركة حربية طاحنة ، ترسم لها الخطط وتعد الذخائر وتهيأ الاسلحة ، ولا بد ان تنجلي هذه المعارك عن آثار نفسية تقوم مقام الادواء الجسمية في عنف تأثيرها ، وشديد احتدامها ، ومن الناس من يسترسل مع شهوته في اللجاج ، ويتمادى في الرعونة فيجر على نفسه شرا كثيرا ، حيث اراد الخير المفرط ، بل من الناس من يتأكد وقوع الشر ولكنه يتمادى في طريقه راجيا ان يلحق بغريمه ما يلحقه هو من الاذى جريا مع المثل القائل (علي وعلى اعدائي) .

والعاقل كل العاقل من يعلم ان عدوه يشاركه العقل والخبرة والدهاء ، فهو اذا نازله بأسلحة الشر فلا بد ان يقابل بقوة تصدم قوته ، فتكون الخسائر مشتركة بينهما ، والسبيل الاحزم ان تتخذ الوسائل لمنع الاصطدام منعا ينبع عن حس خلقي واخلاص عملي ، ومجاهدة النفس امر شاق عسير ، لانها بأهوائها المصطخبة ، وغرائزها المتعارضة اقوى واعنف من ان تنزع الى التسامح ، وتميل الى الاغضاء ، ومن يسيطرون على اهوائهم القاهرة من العقلاء لم يقطفوا الثمرة في راحة وهدوء ، ولكنهم كابدوا صراعا لاهبا يحترق له الدم ، ويغلي به الراس كمرجل تشتعل من تحته النار ، حتى استطاعوا بعد جهاد عنيف ان يسيطروا على نوازعهم الغاضبة فتسلس بعد جموح ، وتسكن بعد جيشان وغليل .

وقد قرأت في كتاب الصداقة والصديق لابي حيان التوحيدي قصة حقيقية رائعة لضبط النفس ، وطاعة العقل ، ولزوم الجادة بين زعازع الاحداث ، واعاصير الحياة ، وبطلاها فقيهان كبيران من اعلام التشريع الاسلامي في الدولة ، ولهما قدرهما الملحوظ في الامامة والقضاء والفتوى ، ولكل منهما تلاميذ واشياع ، ومجال التنافس بينهما على اشده في عصر مضطغن متشاحن تتنازعه الاهواء ، وتهب به الزلازل السياسية والاجتماعية بين الآونة والآونة ، واذن فالبحر هائج ، والموج مصطخب ، والريح عاصفة ، والسفينة تشق طريقها بعناية ربان بصير فان نام لحظة واحدة تذفه التيار الى قرار سحيق .

اما احد الفقيهين فأبو حامد المروزي استاذ ابي حيان التوحيدي ، وكان علم الفتيا والقضاء ، ذكر ابن خلكان انه من ائمة الفقه الذين لا يشق غبارهم ، وقال ابن السبكي في طبقات الفقهاء عن بعض الباحثين ان كتابه المعروف باسم « الجامع » امدح له من كل لسان ، لاحاطته بالاصول والفروع ، وجمعه النصوص والوجوه ، فهو لاصحاب الشافعي رضي الله عنه عمدة من العمد ، ومرجع من المراجع ، وقد سمت همته فشرح المختصر للمزني شرحا دقيقا كشف به الغامض ، ويقول ابو حيان تلميذه عنه انه كان بحرا يتدفق ، حفظا للسير وقياما بالاخبار ، واستنباطا للمعاني ، ومعنى ذلك ان الرجل يستعين على مسائل الفقه بدراسة التاريخ واحاطته بسير الرجال ونتائج الاحداث ، وهذا مما يحسب له حين امتد افقه العلمي الى مدى تضيء فيه الانوار بأبهر اللألاء ، وكان يتمتع ببيان واضح يجعله

اصبر على الجدل ، واثبت في دنيا الخلاف ، والجدل هنا جدل الفقهاء لا جدل علماء الكلام ، لان ابا حامد كان ممن يشيحون عن مسائل علم الكلام ، وكان اذا ذكر المتكلمون في مجلسه يردد قول الراجز :

ومهمه دليله مطوح يداب فيه القوم حتى يطلحوا
ثم يظلون كان لم يبرحوا كانما امسوا بحيث اصبحوا

ولا يعرف قدر هذا الاستشهاد غير من قرأ صحائف الجدل الكلامي ، ورأى التراشق بالمنطق والقياس ، والاحتكام الى الجنس والنوع دون ان يحصل القارىء بعد ذلك على يقين مريح :

ثم يظلون كان لم يبرحوا كانما امسوا بحيث اصبحوا

وما تقدم عن ابي حامد يكفي في التعريف عنه ، كما يكفي في الوقت نفسه في التعريف عن منابذه عبدالله بن نصرويه القاضي الفقيه اذ ضنت كتب التراجم المشتهرة بالحديث عن حياته ، ولكن صموده للمروروزي ومنافسته اياه اربعين عاما في الفتيا والقضاء مما يلقى تصورا معقولا عن مكانته الدينية ، فهو منه قريب قريب ، ويطول عجبي حين ابحث عن اعلام كبار مثل عبدالله بن نصرويه فلا اجد عنهم ما يشفي الغليل ، على حين ارى صفحات كثيرة تحفل بتواريخ اناس ليسوا في العير ولا في النفير ، ايكون الحظ الموهوم ايضا ذا تأثير في كتابة التراجم بعد الموت كما كان ذا تأثير في ارتفاع زيد وخمول عمر وعلى مسرح الحياة ؟ تلك مسألة تتطلب النظر في غير هذا المجال .

مهما يكن من شيء فقد كان ابو حامد المروروزي خصيما للفقيه القاضي ابن نصرويه ينازعه الرئاسة والفتوى ، ويقاسمه التلاميذ والاتباع ، وقد ظلا كذلك اربعين عاما يرى احدهما في اخيه منافسا خطيرا يحاول ان يزيحه عن موضعه ليخلو له الجو ، وهو شعور مؤلم ينتاب العلماء على مدى العصور ، فيضطرهم الى ما يجب ان يتنزهوا عنه من التحاسد والتباغض وقد امتحن الرجلان اصدق امتحان على يد معز الدولة احمد بن بويه حاكم العراق فخرجا من الامتحان بوجه مشرق ، وصحيفة بيضاء ، اذ كشفا معا عن طهارة النفس ، وارتفاع الهمة ، وبعد النظر ، اذ كانت عدواتهما عاقلة بصيرة ، تتجنب مزالق الريب ، ومداحض الشبهات ، فزاد قدرهما بذلك ، وظهر معدنهما الذهبي ساطع البريق بعد ان امتحن في ملتهب السعير .

كان معز الدولة حاكما جبارا سريع الغضب ، باطش العقاب ، يقول عنه معاصره ابن مسكويه المؤرخ الفيلسوف « وهو بذيء اللسان يكثر سب وزرائه وخاصة حشمه ويفتري عليهم » وقد رأى اجماع الناس على حمد القاضيين الكبيرين وتقديرهما ، فأراد ان يوقع بينهما ، ليثور كل قاض على اخيه وليكشف للناس ما يضع من قدريهما ، ولكنه اصطدم بعاقلين حصيفين لهما في دولة الخلق ما لهما في دولة العلم ، فاضطر الى اكبارهما معا ، وقد تحدث ابو حيان التوحيدي في كتاب الصداقة والصديق ، عن ذلك ، ببيان مشرق ، وتفصيل شاف ، ومن احسن من ابي حيان نصاعة قول ، وتسلسل بيان ، وتجدد افكار ، لذلك اوثر ان انقل عنه اذ قال :(١)

« وكان بين القاضي ابي حامد المروروزي وبين ابن نصرويه العداوة الفاشية ، والشحناء الظاهرة ، فكان اذا ذكر ابن نصرويه انشد القاضي :

وأبى ظاهر العداوة الا باضطغان وقول ما لا يقال

وكان ابو حامد يقول عنه « والله اني بباطنه في العداوة اوثق مني بظاهر صداقة غيره ، وذاك لعقله الذي هو اقوى زاجر له عن مساءتي ، الا فيما يدخل في باب المنافسة ، ولذلك استمر امرنا اربعين عاما من غير فحاشة ولا شناعة ، ولقد دعيت الى الصلح فقلت : لا تحرك الساكن منا ، فلقديم العداوة بالعقل والحفاظ من الذمام والحرمة ما ليس لحديث الصداقة بالتكلف والملق ، ولقد وقف مرة على ضربة تأتت له علي كان فيها البوار لي ، فكف عنها واخذ بالحسنى ، فأديته اختها ، وكانت خافية عنده ، فقال : لولا علمي انك تسبق الى مثل هذا ما قابلتك بتلك ، فقلت هو والله ذلك ، ووالله — يقول ابو حامد — لقد ضرني ناس كانوا ينتحلون مودتي ، ويتبارون في صداقتي ، لضعف نحائزهم ، ولؤم غرائزهم ، ولقد ثبت هولي في عداوته على عقل وتذمم افضيا به الى سلامة الدين والنفس والحال ، ورد معز الدولة هذا المصر ، فسأله عني ، فأثنى خيرا وقال : ما قطن مصرنا غريب اعظم بركة منه ، وانه لجمالنا عند المباهاة ، ومفزعنا عند الخلاف ، وقد سألني معز الدولة عنه سرا ، فأثنيت خيرا وقلت : ايها الامير ، والله ما نشأت فتنة في هذا العصر ، الا كان سبب زوالها ، واطفاء ثائرتها ، واعادة الحال الى غضارتها ونضارتها ، فقال معز الدولة سرا لابي مخلد : كيف الحال بينهما ؟ يعنينا ، فقال : بينهما نبو لا ينادى وليده ، وتعاد لا يلين ابدا شديده ، فقال : لئن كانا كما تقول ، فانهما ركنا هذا البلد ، وعدتا هذا السواد ، اجعلهما عيني اللتين ابصر بهما احوال الناس في هذا المكان ، واعول عليهما فيما يريان ويشيران » .

ثم قال ابو حامد ، وقد تغلغل في اعماق النفس البشرية تغلغلا لا مزيد وراءه : « والله ان عداوة العاقل لألذ واحلى من صداقة الجاهل ، ومن فضل صداقة الجاهل انك لا تستطيع مكاشفته حياء منه وايثارا للارعاء عليه ، ومن فضل عداوة العاقل انك تقدر على معالنته بكل ما يكون منه اليك » .

— ٢ —

أنقل هذا الحديث على طوله لأظهر للقارىء كيف تكون العداوة اذا لم يكن منها بد ، مقيدة بحدود لا تتعداها ، فاذا كانت مغالبة النفس من الشدة والعنف بحيث لا يسهل

(١) — الصداقة والصديق ص ٤١ بتحقيق الدكتور ابراهيم الكلاني .

روابي العبير

هل ترى ضل في الحياة طريقي ... يا فؤادي يا حيرتي يا رفيقي
أم ترى الشاطىء البعيد سراب ... وشراعي في بحر وهم عميق
بهت الومض في الفضاء وغامت ... هالة الافق في زمان سحيق
أين درب السماء ؟ أين الثريا ؟ ... غرقت في تموجات الرحيق
يوم كان الهوى ندي الاماني ... أشقر اللون حافلا بالبريق
نهرق الليل والنجوم العذارى ... ثملات من النشيد العريق
يتضاحكن في حياء ودل ... وعفاف ورقة وخفوق
وعلينا من النعيم ظلال ... حفها الضوء وابتسام العشيق
كلما هزنا الهيام انتعشنا ... وارتعشنا من العذول الصفيق
نملأ الجو بالهتاف ونشدو ... والعيون .. العيون في تحديق
أين تلك الرؤى وتلك الاماني ... وروابي العبير دنيا العبيق
أتراها في غفوة العمر كانت ... أم تراها من الخيال الرقيق
اين عهد الشباب للحب بحر ... كلنا بين سابح وغريق

جنيف — احمد عبد الجبار

انقيادها الى المصافاة في كثير من الاحيان فان التزام الحد في العداء مما يضمن الهدنة الدائمة ، ويمنع الافق ن يتلبد بالسحب ، فتتراكم كي ترسل الصواعق فيما بعد ، كما ان لهذا الحديث دلالة واضحة على تمكن فقهائنا من امثال ابي حامد المروروزي من معرفة الحقائق الاصيلة فيما يسمى اليوم بعلم النفس ، وقد كان بعض الاغرار يظنون ان هذا العلم من الجدة بحيث لم يهتد اليه احد من اساطين المفكرين في الاسلام ، واهمين ان من يعرف المصطلحات الذائعة من امثال اللاشعور والكبت والعقدة والانفصام هو وحده الذي يعرف دخائل علم النفس ، وقد فات هؤلاء ان المضمون الخالص لهذا العلم ليس وقفا على مصطلحات تتغير بتغير العصور ، وان النفوذ الى الحقائق النفسية في اعمق الاعماق ، هو ما يهدف اليه هذا العلم الطريف التليد ، وكم راينا من يملأ رأسه بمصطلحات مستحدثة في هذا المجال ، ثم لا يصل ببصيرته الى بعض ما يدركه مثقف غير متخصص اذا واصل استنباطه الشخصي في هدى من عقل حصيف، والا فمن الذي ينكر خبرة ابي حامد المروروزي النفسية حين يستمع الى قوله : « اني بباطنه في عداوته اوثق مني بظاهر صداقة غيره ، وذلك لعقله الذي هو اقوى زاجر له عن مساءتي » .

او قوله : « وقد دعيت الى الصلح فأبيت ، اذ لقديم العداوة بالعقل والحفاظ من الذمام والحرية ما ليس لحديث الصداقة بالتكلف والملق ! » .

او قوله : « عداوة العاقل الذ واحلى من صداقة الجاهل ، ومن فضل عداوة العاقل انك تقدر على معالنته بكل ما يكون منه اليك ، ومن فضل صداقة الجاهل انك لا تستطيع مكاشفته حياء منه » .

فان صاحب هذه الآراء دارس محنك قد أوتي القدرة على تعرية النفوس ، وكشف الاقنعة ، وقد عرف بخبرته ان الصداقة بين المتنافسين صداقة ظاهرة ، تضمر ما لا محيص عنه من الارتياب والحذر ، فلم يحرص عليها اذ كانت طلاء خادعا يزيف الحقيقة ويعمي العين عن النفاذ الدقيق ، وقد استعان الرجل بخبرته الشخصية في دنيا المشاعر والاحاسيس فاهتدى الى ما لا يهتدي اليه غير ذوي الالهام الوقاد ، وكانت مسألة العداء بعض ما يشغله فأخذ يوازن بين عداوة وعداوة ، وما ذكره ابو حيان عنه قليل من كثير لان التوحيدي لم يفرغ له وحده بل كان نحلة دائمة الامتصاص من شتى الحدائق ، وكم وردت من زهور ونشقت من عبير ، ولكنه عرف للمروروزي قدره حين قال عنه في خاتمة حديثه عن عداوة العقلاء :

وكان ابو حامد بليل الريق ، يستحضر كيف شاء بالطويل والعريض والجليل والدقيق ، وهو في كل ما قال يعيد الى ذهني قول سقراط الحكيم « لا تكون كاملا حتى يأمنك عدوك فكيف بك اذا كان لا يأمنك الصديق » .

مصر — المنصورة — محمد رجب البيومي

٣ شارع النصر المتفرع من شارع الجلاء

المواقفية والتكامل

بقلم عدنان بن ذريل

* * *

ساعدت المنهجية الصيغية ، وتحليلاتها المواقفية على توسيع نطاق الدراسة النفسية للسلوك ، والادراك ، في اتجاه الواقع الحياتي كما يعيشه الشخص ، ويمكن ملاحظته ، والتجريب عليه في حركية مواقفه .

ان الصلات بين الفعل والموقف ، في ادق لونياتها الفردية او الاجتماعية ، لم تعد مجرد اقتران يربط الفعل بالموقف .. وانما اصبحت صلات (بناء صيغي) ، يجعل بنية الواحد مترتبة على بنية الآخر .

وكان (ليفين) اعتبر المكان حيزا مساريا لنشاط الفرد ، اي اعتبره محل المسارات التي لحركية السلوك ، والمواقف.. فهو ليس مكانا موضوعيا ، وانما هو مكان ذاتي تملأه الاشياء بوصفها جذابة ملائمة ، او منفرة معيقة(١) .

وبالفعل ان التمثل الهندسي للمجال كمكان ذاتي يجري نشاط الشخص فيه هو الذي سمح باضفاء (الموضوعية) على الوقائع الذاتية ، ونسبة الخصائص التي لعلاقات الاشياء بالشخص الى هذه الاشياء .

وقد رأينا كيف ان تقدير حركية السلوك والمواقف تقديرا هندسيا سمح بتبين القوى ، والتوترات فيها .. كما رأينا ايضا كيف ان حل مشكلة هو اعادة تنظيم للمجال الحيوي .. وان الاستجابة تحدد بما هي تحدثه كفعل ، اي عن طريق الغاية التي تتجه اليها .

الصراعات النفسية

والصرأعات النفسية مواقف يعيشها الشخص بينه وبين نفسه ، او بينه وبين الاشياء والناس .. وهي (المواقف) التي تكون فيها القوى المؤثرة في الشخص مختلفة في الاتجاه ، ومتساوية في الشدة ، وهي بالتالي تختلف باختلاف المجموعات التي تكون فيها .

هناك : أ ــ صراعات بين قوى ذاتية ، دافعة او مانعة ، تتغلب فيها القيمة الايجابية التي تدفع الى الهدف ، وب ــ صراعات بين قوى ذاتية ، واخرى مثارة ، او لا شخصية ، تتغلب فيها القيمة السلبية التي للحاجز ، او العقبة .

وفضل (ليفين) انه رسم هذه الصراعات رسما هندسيا ، فأظهر مجالاتها ، ونقاط ارتكازها ، واتجاهات القوى المتصارعة فيها ، وسلوك الانسحاب ، او الفعل البديل اللذين تصير اليهما .

والمثال الذي يضربه ليفين على (الصراع) بين قوتين دافعتين ، احداهما ذات قيمة ايجابية ، والاخرى ذات قيمة سلبية ، هو مثال الطفل حين يرى لعبة على الامواج ، عند شاطىء البحر .

انه يتحمس للحصول على اللعبة ، ولكنه يخاف الغرق .. ولذلك يصير الى التوازن في مكانه .. القوى في هذا المثال دافعة ، بعضها ايجابي ، هو الحصول على اللعبة ، وبعضها سلبي ، هو التثبيط الذي في الخوف من الموج(٢) .

ولكن في حالة الصراع بين قوة دافعة واخرى مانعة ، اي حالة وجود عقبة تحول دون الوصول الى الهدف ، فغالبا ما يصير الصراع الى سلوك الانسحاب ، او الفعل البديل ، او التحايل للوصول الى الهدف(٣) .

واحيانا كثيرة يكون الخمول ، واحلام اليقظة ، والاوهام ثمرة ذلك .. اذ ينتقل الشخص من مجال الواقع الى مجال الخيال .. بفعل ان مجال الواقع محصور ، ويتضمن عقبات ، في حين ان مجال الخيال مفتوح ، وطليق .

في الامثلة السابقة كانت الصراعات بين قوى ذاتية ، وقد يكون الصراع بين قوة ذاتية واخرى مثارة ، او لا شخصية ، من مصدر آخر .. مثل حالة اصدار امر من أب ، او معلم ، او حاكم بالامتناع عن فعل شيء .

هذا الامر يوجد عقبة ، ويغير من طبيعة المجال ، وتأتت الصراعات بسببه بين القوى الدافعة والمانعة عن طريق التأثير الخارجي .. والحل فيه اما مقاومة الامر ، ا والتحايل من اجل تصديع قوته .. واحيانا يصير الى شكل عدواني من مجابهة ، واقتتال .

التوتر الانفعالي

و (التوتر الانفعالي) مرتبط بوجوده ، وشدته ، بوجود هاتين القوتين المتضادتين ، وشدتهما .. وهو يزداد كلما اقترب الشخص من هدفه .. كالتوتر الانفعالي الذي يظهر على السجين عند اقتراب موعد خروجه من السجن .

وابسط صور التعبير عن (التوتر الانفعالي) عدم الاستقرار الحركي ، وعدم البت في الامور .. ويمكن تفسيرهما بأنهما محاولة للابتعاد عن الموقف الراهن ، عن طريق سلوك الانسحاب ، او الافعال البديلة .

واذا كان (الاختيار) هو الاستجابة للقيمة الايجابية للموقف ، فان التردد في الاختيار يرجع الى وجود موقفين متداخلين(٤) .. وان مقدار الاهتمام بكل من الموقفين هو ما يسمى بالشدة النسبية لكل منهما .

ان الشدة النسبية في تغير مستمر ، يصعب معها البت .. وعندما يصل الشخص الى البت ، فمعنى ذلك ان القيم التي لاحد الموقفين هي التي تغلبت .

ومــن حيث ان القوى المتصارعة ، او التوترات المتكافئة تؤدي الى تغيير (موقع) الشخص داخل مناطق المجال الحيوي ، فلا بد ان نراعي في المواقف عدم السماح بالفرار من المجال .

و (التشجيع) مفيد ، لانه يهيىء مستوى معينا من شدة التوتر الانفعالي ، وآنئذ هــو يساعد على بلوغ الهدف .. فاذا شجعنا الشخص هذا التشجيع استفاد منــــه .

ولكن اذا تجاوز التشجيع هذا المستوى فانه يضر ، ويؤدي الى صعوبة ادراك طبيعة الموقف ، وان الحرمان ، والصد ، والاحباط تؤدي الى زيادة التوتر الانفعالي ، والتي بدورها تؤدي الى سلوك بدائي ، او عدواني ، مثــل السحر ، او المقاتلة .

التكاملية عند يوسف مراد

كان استاذنا المرحوم (يوسف مراد) يرى ان السلوكية الصيغية تتلاءم مع التكاملية ، اذ تلتقي بها في العديد من النقاط .. ولذلك توسع في المواقفية ، وخاصة عند (ليفين) وصحبه ، وما قدمته في بحث الشخصية .

وفي المقابل ان (التكاملية) حين تأخذ بعين الاعتبار توازن الشخصية ، ونجاحها ، او ترى في الشخص وحدة جسمية نفسية اجتماعية ، انما تعكس هذا الحس البنائي الصيغي للكل ، وتقرر بالتالي تآزر العوامل فيه .

ويرى الدكتور (يوسف مراد) انه بتلاقي العوامل الجسمية والنفسية والاجتماعية ــ يتحقق تفسير السلوك من حيث هو وحدة متكاملة لا تتجزأ . ــ ص ١٢ .

وفي نظره ان ــ الوظيفة العصبية هي التي تسبق كافة الوظائف ، وتحقق تكامل الكائن الحي . ــ وان ــ اللغة تربط بين مختلف الانظمة الاجتماعية ، وتحقق تكامل الجماعة . ــ ص ١٣ .

وان ــ الفعل الارادي هو الفعل الذي تتمثل فيه قدرة الشخص على الكف ، وتنظيم دوافعه الوجدانية ، وعواطفه ، وافكاره ، وتوجيهها نحو غرض معين . ــ ص ٣٤ .

ويضيف المرحوم يوسف مراد انه ــ لا يتـم تكامل الشخصية ، الا بتنظيم قوى النفس كلها ، من وجدانية ، ونزوعية ، وعقلية ، وارادية . ــ نفس الصفحة .

ولذلك اعتبر ان (التصنيف التكاملي) للوقائع النفسية يبدأ من الدوافع الفطرية ، ويتدرج صعودا حتى الشخصية المتكاملة ، وهو يظهر الترقي :

أ ــ في ميدان الدوافع من اللاشعور الى الشعور ، وب ــ في النشاط الحركي من استخدام الاشياء الــى استخدام رموزها ، وج ــ في النشاط الذهني من الاحساس الى التصور الذهني ، ود ــ من الافعال المنعكسة الى الافعال الارادية(٥) .. ص ٣٥ .

التكامل عند السلوكيين المحدثين

وقد تطورت الدراسات النفسية للسلوك ، والادراك ، والشخصية تطورا كبيرا في العقدين الاخيرين(٦) ، استنادا الى المواقفية ، وصيغيتها .. وكان ابرز ما ظهر في ذلك تطوير مفهوم التكامل النفسي من اساس مواقفي ، صيغي .

وسنحاول فيما يلي اعطاء فكرة عن هذه الدراسات ، ومصطلحاتها الجديدة ، والخصبة ، فنعرض آراء سكوت ، وهارفي ، وشرودر ، وستروفيرت في ذلك .

سكوت ، والبنية المعارفية

درس سكوت البنية المعارفية ، فتخصص في (التمايزات) ، كاراكتريستيك البنيويــة ، وتطبيقاتها في علـم النفس السريري ، والاجتماعي ، ودراسة الشخصية .

وجريا على هدي ليفين ، وهيدر يميز بين شكلين للتمايزات المعارفية : المضمون والبنية .

(المضمون) يحيل الى الموضوعات في حيز ادراكي ما ، الى ما لهذه الموضوعات من صفات ، وكيف هي ينظر اليها ، او يحس بها .. والتمايزات كمضمون هي اذن مواقف ، ومعتقدات ، وقيم .

و (البنية) تصف العلاقات التي بين المعارف ، اي التمايزات التي لمثــل التغاير ، والتكامل ، الصلابة ، والانثنــاء .

والتكامل في نظره هــو الطريقة التي وفقها ترتبط الصور ، اي معاني كونسترکت الاشياء ، داخل ميدان معارفي ، وهناك انواع من (التكامل) :

١ ــ التمركز ، وهو الاختلاف الاولي الذي يعتبر عددا من الصفات مركزا .

٢ ــ شبهية الصور ، وهو الحكم على الموضوعات الظاهرية على انها من مجموعة واحدة ، وذات صفات واحــدة .

٣ ــ التوازن العاطفي ، وهو الشكل من التكامل

الذي تكون فيه الموضوعات مجمعة معارفيا حسب معانيها العاطفية عند الشخص .

٤ ــ المتانة التقييمية ، وهــو الشكل الذي تكون الموضوعات فيه مجمعة على انها تحوي على خصائص محبوبة ، مرغوب فيها .

وعلى هذا النحو نجــد انه بينما يعتبر الدارسون المحدثون (التكامل) يحيل الى الطريقة التي فيها الصور ، اي المعاني المنشأة ، مرتبطة ، فان سكوت يضمنه عددا كبيرا من العمليات المعارفية(٧) .

ستروفيرت ، والتعقيد المعارفي

واما ستروفيرت ، فقد درس مع زوجته التعقيد المعارفي ، والذي يعتبره مظهرا من مظاهر بنية الشخصية .

وفي نظره ان عملية (التمييز) ، ديسكريمينيشن ، رغم انها احادية البعد ، هي مرتبطة بعمليتي التغاير ، ديفيرانسييشن ، والتكامل ، انتغريشن .

و (التكامل) في نظره هو عملية ربط الشكل الصيغي للمنبهات ببعدين او اكثر للحيز الدلالي ، من اجل احداث مخرج سلوكي ، او ادراكي .

ويضيف ان ثمة تكاملا مرتبيا ، هو العلاقات الثابتة ، غير المتغيرة بين الابعاد تخص عددا من الاشكال الصيغية للمنبهات ، وتحدث مجموعة من الاستجابات مقترنة بها .

وآخر انثنائي ، هو العلاقات المتبدلة ، المتغيرة بين الابعاد التــي تخص الاشكال الصيغية للمنبهات المحدثة استجابات متنوعة .

انظمة التنظير والنمو الذاتي

ان (المجرد ــ المشخص) هو البعد البنيوي الذي تقوم عليه انظمة التنظير ، عند هارفي ، وهونت ، وشرودر .

ويعرف هارفي (البنية) بأنها هيكل العلاقات التي بين الاجزاء المختلفة في نظام ما .

وانظمة التنظير تشرح نظام المضمون المعارفي شرحا بنيويا ، وتطوريا .. اذ المفاهيم التي يوجدها الاشخاص عن مجموعات المنبهات تحدد علاقاتهم بالمحيط فيها .

وهناك يمكن افتراض عدد من الوظائف لها ، مثلا ان المفاهيم المحبية تصبح مجموعة معايير .. وتعمــل كبرامج من خلالها تقرأ الحقيقة ، وتحدد .

(المعايير) تفيد كنوع من المهماز النفسي يشبه به العالم ، فيتغاير بها ، ويتكامل ايضا بها .. وحين تطبق تحدث مفهومية لمنبهات جديدة .

وان عمليتي (التغاير والتكامل) هي بمثابة رجات عنفية في اعادة التنظيم البنيوي للعالم ، والاشياء .

المجرد والمشخص

وفي نظر هارفي (المجرد) معادل للتغاير الاكبر ، والتكامل ، و (المشخص) معادل للتغاير الاصغر في بعثرته .

والنمو الصاعد مــن الاكثر تشخيصا ، الى الاكثر تجريدا يمر عبر مستويات ، لا بد من التنبه لها ولبنيتها .

المستوى الاول : ويتعلق بالشعور بالسلطة الناتج عن الرقابة التي يمارسها الآباء ، والرضا الذاتي فيه يحدد كتلاؤم .

والمستوى الثاني : مثل الاول ولكن الانا فيه اكثر تميزا ، منذ ان الشخص يمكن ان يعتمد على نفسه .

والمستوى الثالث : يحصل فيه ادراك اكبر للذات كعامل سببي ، ان الذات فيه هي بالاحرى ممفصلة .

والمستوى الرابع : ويتميز بالاعلام ، ومهمة التوجيه للمواقف ، والممارسات تنمي المقدرة على المحاولات الجديدة في التكامل مع الظروف المختلفة .

وفي الاعــداد القادمة نحــاول توضيح المذاهب ، والتجارب في ذلك ، مــع شروح لمصطلحاتها الجديدة ، فالى اللقاء .

---

(١) ــ راجع ابحاثنا السابقة في (الاديب) الغراء ، الشخصية والموقف ، مايو ١٩٧٨ ، الموقف والسلوك ، اغسطس وديسمبر ١٩٧٨ ، الموجه الكيفي والموقف ، يونيو ١٩٧٩ ، والموقف والحاجة ، سبتمبر واكتوبر ١٩٧٩

(٢) ــ وبالعادة تصاحب مثل هذا التوازن افعال ايمائية وتعبيرات هي بمثابة افعال بديلة .

(٣) ــ وهنا يرد المثابرة ، والنشاط للتغلب على الفشل ، وليفين يفرق بين الطفل النشيط والطفل الخامل من هذه الوجهة من النظر .

(٤) ــ وكذلك انقسام الانتباه عند التلميذ ، او الموظف ، او الانسان المهموم ، ويميز الاستاذان باركر ودامبو بين اللعب الاصلي ، واللعب الثانوي ، اذ الانتباه في الاول اكثر منه في الثاني ، حيث يقل ويضعف .

(٥) ــ هذه الشواهد ، وصفحاتها من كتاب : مبادىء علم النفس العام ، للدكتور يوسف مراد ، مصر ١٩٤٨

(٦) ــ وتجد في كتابنا : الشخصية والصراع المأساوي ، دمشق ١٩٧٤ عرضا لآراء يوسف مراد ، وفاخر عاقل في الصراع النفسي ، مع تطبيقات على المسرح الشعري عند احمد شوقي ، وعزيز اباظة ، وعدنان مردم بك .. وقد نوهنا وقتها اننا يمكننا الى جانب الصراعات الداخلية والخارجية المعهودة دراسة صراعات التآمر ، والتمرد ، والحب ، والترقب ، والفاعلية ، والتدرج ، ص ٦٨ وما بعدها ، وعلى الخصوص ص ٧٥

(٧) ــ تجد تفصيلا لذلك في كتاب : السلوك في محيط معقد لستروفيرت ، واشنطن ١٩٧٨ ، ص ٢٥ . والى الاعداد المقبلة ، وشكرا .

دمشق — عدنان بن ذريل

الجمـال .. والرجـال

بقلم الدكتور عبد العزيز جادو

* * *



يمكن ان يسود جمال الرجل احساسنا بالجمال لو سادت المعايير والنزعات الاغريقية ، فالصداقة في اليونان كانت تتحكم بالحب ، وكان مثال الجمال في اسبرطة واثينا هو الشباب المتلىء بالرجولة ، الذي يجمع بين الجمال والشجاعة . ولذلك اضحى الفن الاغريقي تمجيدا للرجل الكامل ، ويعكس الميادين الرياضية ، على حين يعكس احساسنا بالجمال مخدع المراة وسلطانها في قلوبنا وحياتنا . واذا كان جمال الرجل لا يزال يحركنا في بعض الاحيان فالعلة في ذلك العنصر من عناصر الحب الذي قد يرتفع الى حد الشغف والاخلاص في الصداقة ، كما كانت الحال عند الاغريق .

وتصبح المراة منبع الجمال ومعياره لان حب الرجل اياها اقوى ولو انه اقصر من حبها اياه ، وتخلق شدة رغبته ملاحتها الفائقة . وتسلم المراة بحكم الرجل عليها انها اجمل منه ، اذ ما دامت تهوى ان تكون معشوقة اكثر من حبها التملك ، فهي تتعلم ان تقدر في نفسها تلك المفاتن التي تقوي الرغبة . وفيما عدا ذلك ، لا تنشد المراة الجمال في الرجل ، وليست في حاجة الى تخيله فيمن تهواه .. انها تلتمس فيه القوة والقدرة على ان يضع تحت اقدامها ما استطاع من كنوز العالم .

يقول برنارد شو الكاتب الايرلندي الكبير : « ان الرجال يجرون وراء النساء وللرجال ما يلهيهم عن النساء ، اما النساء فليس لديهن ما يحولهن عن الرجال » .

والاحرى ان تنقلب الآيــة ، وتجري النساء وراء الرجال ، اذا عرفنا ان هناك رجالا اكثر جمالا من النساء . وكان سيدنا يوسف الصديق مثالا لذلك الحسن النادر والجمال الفائق مما جعل امراة العزيز تهيم به وجدا ويشق شغاف قلبها حبا حتى وصل الى فؤادها .. « وقالت نسوة في المدينة امراة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا انـا لنراها في ضلال مبين . فلما سمعت بمكرهن ارسلت اليهن واعتدت لهن متكأ وآتت كل واحدة منهن سكينا وقالت اخرج عليهن فلما رأينه اكبرنه وقطعن ايديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا ، ان هذا الا ملك كريم » صدق الله العظيم .

ويقول خالد بن صفوان لامراته وقد قالت لــه : « ما اجملك ! » أتقولين لي ذلك وما لي عمود الجمال ، ولا علي رداؤه ولا برنسه ؟ .. قالت : ما عمود الجمال ، وما رداؤه ، وما برنسه ؟ .. قال : اما عمود الجمال فطول القوام ، وفي قصر ، واما رداؤه فالبياض ، ولست بأبيض ، واما برنسه فسواد الشعر ، وانا اصلع . ولكن لو قلت : ما احلاك وما املحك لكان اولى »(1) . وهو بذلك لا يفرق بين الجمال والحسن ، ولكن يفرق بينهما وبين الملاحة .

فهناك اذن فرق بين الجمال والملاحة . ذاك لا يحوزه الا رجل معتدل القوام ، متناسب التقاسيم وفيه مع ذلك شيء من الفتنة . اما الملاحة فتوجد حتى في الرجل القبيح الوجه ما دام خفيف الروح رشيق الحركة .

ولعل في هذه الحكاية مـا يصور لنا مبلغ اختلاف الاذواق في هذا الشأن . قال رجل من اهل المدينة : كنت يوما في مجلس رجل من قريش ومعنا قينة ظريفة حسنة الصورة ، ومعنا فتى من اقبح ما راته العين ، والقينة مقبلة عليه بحديثها وغنائها . فبينما نحن كذلك اذ دخل علينا فتى من احسن الناس وجها وأسراهم ثوبا ، وأطيبهم رائحة ، فأقبل علي صاحب البيت فقال : ان في امر هذين لعجبا ! .. قلت : وما ذلك ؟ .. قال : هذه الجارية تحب هذا (يعني القبيح الوجه) وليس لها في قلبه محبة ، وهذا الحسن الوجه يحبها ، وليس له في قلبها محبة . وبينما نحن على .. اذ سر الفتى الحسن فتغنى قائلا :

بيـد الذي شغف الفؤاد بهـم فـرج الذي ألقى مـن السقم
فاستبقني الـي كلفـت بكـم ثم افعلي مـا شئت عن علم

فأقبلت القينة عليه وقالت : قد علمنا ذاك ، فمه(٢) . ثم تركته واقبلت على القبيح ، فلبثنا ساعة ، ثم تغنى الفتى الحسن بقول العذري :

الا ليتني أعمى أصـم تقودني بثينة لا يخفـى علـي كلامها

فقالت القينة : اللهم اعط عبدك ما سأل . فغاظتني ، فقلت لها : يا فاجرة ، تختارين هذا وهو اقبح من ذنوب المصريين ، على هذا الذي هو احسن من توبة التائبين ؟ فقالت : ليس الهوى بالاختيار ، ثم أنشأت تغني وتقول :

فـلا تلم المحب على هواه فكـل متيـم كلـف عميـد
يظـن حبيبـه حسنـا جميـلا وان كان الحبيب مـن القرود

فقلت : أجل ، انه لكما قلت ، وليس في هذا حيلة ، وذكرت قول ابن ابي ربيعة :

فتضاحكـن وقـد قلـن لنـا حسن في كل عين من تود(٣)

على انه من الانصاف للاقدمين ان نذكر انه قد وردت لهم اقوال تؤيد ما ذهبنا اليه من ان الجمال لا يمكن حصره

شبح

نظراته في القاع جامدة ... تعبى تطالع قسوة الحجر
وتمد للعتمات سلمها ... مبهورة في حالك الحفر
رحلت عن التاريخ من صلف ... وتنكرت لمكامن الخطر
لا وحي أجنحة الشموس له ... في ساحها وقع على وتر
وكذا المرافىء عندها انطمست ... فتشابهت في كل منحدر
ففدت زوايا الامس خافية ... تضني خطاها زحمة البشر
حتى تداخل وجه حاضرها ... في التيه والخسران والكدر
وترسبت من كل ثانية ... منها ضروب الحزن والغير
وتعلقت برقى ممهدة ... تصبو الى الينبوع في السحر
نظراته ان شف غائرها ... صارت نيوبا من لظى سقر
في حين أن لها قصائدها ... ودموعها في مأتم العبر
وتلوذ حين تلوذ راعبة ... كالسجن والسجان والضجر
الهم في غدها رحيل غد ... ان كان يمحو سالف الاثر
فذوت زهور وانتهت حقب ... وتهيا التعساء للسفر

دمشق ... رضوان الشيخ محمد

في نطاق ولا تحديده بحدود معينة . وانه ليس وقفا على النساء دون الرجال . وفي ذلك يقول افلاطون :

« الجمال الحقيقي انما هو عامل غير محسوس ، هو كامن في نفس الشخص ، في السيال الروحي الذي ينبثق من ملامحه ، لان الشخصية تنفخ في الملامح روحها وتجعلها ذات معنى وتأثير في النفس » .

ويقول ايضا : « الحسن ضياء الحق ، وامتياز تمنحه الطبيعة » .

وقد ذكر في تاريخ الاغريق ان القيبياد كان اجمل فتيان الاغريق ، وقد عاش في القرن الخامس قبل الميلاد ، وكان سقراط يعجب بجماله وينوه به وقد توجه الاغريق بالبنفسج لفرط اعجابهم به .

وكان الامبراطور فردريك الثاني الذي عاش في القرن الثاني عشر من اجمل ملوك العالم . وكان يجمع الى جماله ذكاء نادرا ، ومتبحرا في العلوم الشائعة في زمنه . وكان لا يؤمن بالعقائد الدينية التي كان يؤمن بها معاصروه ، وقد اشتجر الخلاف بينه وبين بعضهم وبقي مدة طويلة .

واجمل من ذكر من الشعراء هو بيرون الشاعر الانجليزي ، وقد رآه مرة احد الاتراك فحكم لاول رؤيته انه من الاشراف ، وان تقاسيم وجهه لا يمكن وجودها بين العامة .

وكان ملتون الشاعر الانجليزي ايضا اجمل من النساء وجها .

ولكم أرتنا « ولادة » من شعرها سحرا ومن كلامها درا ، حيث كانت تخاطب ابن زيدون بقولها :

ترقب اذا جن الظلام زيارتي ... فانى رأيت الليل أكتم للسر
ولي منك ما لو كان بالبدر لم ينر ... وبالليل لم يظلم وبالنجم لم يسر

وفي موقف آخر وهي تقول :

لحاظكم تجرحنا في الحشا ... ولحظنا يجرحكم في الخدود
جرح بجرح فاجعلوا ذا بذا ... فما الذي أوجب جرح الصدود

ومن المعروف ان الوجه مرآة النفس ، فاذا كانت النفس جميلة كان الوجه جميلا ، والعكس بالعكس .. ولذلك كان سقراط يقول : « اللهم ضع الجمال في نفسي » .

وعلى هذا المبدأ كان الاخلاقيون من العرب ينصحون باستخدام ذوي الوجوه الحسنة لان حسن وجوههم دليل حسن نفوسهم . وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ يقول : « اطلبوا الخير من حسان الوجوه » .

---

(١) ــ عن « عيون الاخبار » جزء رابع ، ص ٢٣
(٢) ــ مه : مبني على السكون اسم لفعل الامر ومعناه اكفف ، فان وصلت نونت فقلت : مه مه « مختار الصحاح » .
(٣) ــ عن « نهاية الارب » جزء ثان ، صفحة ١٢٦

مصر ــ رمل الاسكندرية ... عبد العزيز جادو
كليوباتره ــ ٧ شارع الجمال

الشوق والحنين في شعر جورج صيدح

بقلم عيسى فتوح

* * *

اذا كان لمدينة عربية ان تفخر بأبنائها الاوفياء، وشعرائها البارزين المبدعين، فدمشق اجدر هذه المدن بالفخر، لانها انجبت على مدى التاريخ، نخبة من هؤلاء العباقرة الموهوبين الذين خلدوها بعلومهم وفنونهم واشعارهم، وظلوا يحنون اليها ما حنت النيب في نجد، بالرغم من بعد الدار، ونأي المزار ... وكان آخر من ارقهم الوجد، واضناهم البعد، الشاعر المرحوم جورج صيدح، الذي انتهت حياته في باريس، في العاشر من تشرين الاول من العام الماضي ١٩٧٨، عن خمسة وثمانين عاما، قضاها بعيدا عن دمشق في مصر، وفنزويلا، والارجنتين، وفرنسا ... الا ان قلبه ظل يخفق بحبها، ويحن الى مرابع طفولته في حي « مكتب عنبر » الذي رأى فيه النور.

لا اعرف من اين أبدأ الكتابة عن صيدح، وهو الشاعر المتعدد الجوانب، الذي ملأ دنيا العروبة بقصائده القومية الرنانة، ووضع كل مواهبه وطاقاته المبدعة في خدمة وطنه، وامته التي حمل همومها صليبا وجلجلة، ومات وهو يحمل هذا الصليب لاهثا، فلا هو استطاع ان يصل الى الجلجلة، ولا هو شاء ان يلقي الصليب ويستريح:

حسب الاديب وقد مشى بصليبه   أن لا يخر على الصليب ذليلا
لا بد من يوم اغر محجل   يلقى المنية فيه والتبجيلا

عشر سنوات ورسائله، وقصائده الجديدة، وقصاصاته، وخواطره، ودواوينه تنهمر علي ولا انهمار المطر، يكتب لي لاهفا بدم القلب لا بالحبر، يسألني: متى يكون الخلاص؟ متى يستعيد العرب مجدهم ومكانهم اللائق تحت الشمس؟ متى تمحي بغضاؤهم، وتعلن وحدتهم الكبرى التي تغنى بها وأشاد؟ حتام يختلفون، ويتمزقون، وقد كانوا سادة الدنيا، وملوكا فوق سرير الارض؟.

ولد الشاعر جورج صيدح في حارة « زقاق الصواف » قرب « مكتب عنبر » بدمشق عام ١٨٩٣، وكان ابوه قاضيا في محكمة استئناف الحقوق مدة ثلاثين عاما، دخل احدى المدارس الابتدائية في حارة الكنيسة المريمية سنة ١٨٩٩، وامضى فيها عاما واحدا، ثم انتقل الى المدرسة الآسية، فمكث فيها حتى عام ١٩٠٩، وكان مبرزا بالعربية، مقاطعا الدروس باللغات الاجنبية، فعاقبه اهله بسجنه في كلية « عينطورة » بلبنان بعيدا عنهم لكي يتعلم الفرنسية، فمكث فيها عامين، ونال شهادتها الممتازة سنة ١٩١١، وكان ذلك آخر عهده بالدرس والتحصيل، لانه اضطر الى الالتحاق باخوته في مصر، والعمل معهم في ميدان التجارة التي كان يكرهها، لكنه لم ينس معهده في لبنان، فقال فيه بعد ثماني سنوات من تركه له:

يا طير عنطورا سلام! ان لي   قلبا تسرب في السلام متيما
جنحته بالذكريات، فطار من   فوق السنين، وحط حيث تنسما
يا طير عد للعش، عد لشجيرتي   أترى مكانانا هناك كما هما
حدث عن الايوان، عن رواده   عن حارس في الباب عاش مهوما

اقام في مصر ثلاثة عشر عاما، فابتسم له الحظ، وصار غنيا، لكنه لم يلبث ان اصيب بنكسة مالية كبيرة سنة ١٩٢٥، فقرر مغادرتها الى بلاد الله الواسعة وهو يردد:

أظلم الناس من ظلم   يائسا تاه في الظلم
نازحا كل زاده   عزة النفس والالم
ان تظنوه مذنبا   فاجعلوا ذنبه الكرم
أو تسموه شاردا   فالذي حثه الشمم
لو عدلتم لما نأى   عن ديار بها التحم

اتجه الى اوروبا حيث اقترن في اول آذار سنة ١٩٢٧ بفتاة فرنسية في باريس، ومارس الكتابة بالفرنسية التي اتقنها في عينطورة، وفي العام نفسه قصد « كركاس » عاصمة فنزويلا، فاقام فيها عشرين عاما يعمل بالتجارة، ثم انسحب من ميدان الاعمال التجارية حين بلغ الخمسين، وفقا لعهدة بينه وبين نفسه، وانصرف الى المطالعة والسياحة في انحاء العالم، حاملا في قلبه جرح الاغتراب، وعلى جبينه آثار الجهاد المضني.

انتقل عام ١٩٤٧ الى الارجنتين، فطبع فيها ديوانه « النوافل » ووضعه تحت تصرف لجان الدفاع عن فلسطين، ثم اسس جمعية « الرابطة الادبية » التي كانت تجتمع في منزله مساء الاربعاء من كل اسبوع بدليل قوله:

مساء يوم الاربعاء المقبل   موعدنا يا سادتي في منزلي

وكان ينتظر قدوم الاربعاء بفارغ الصبر ليبلغ رفاقه في الرابطة ما في نفسه:

عندي ليوم الاربعاء رسالة   لولا الظنون لأفصحت عما بي

وكان من اعضاء الرابطة يومئذ يوسف صارمي (صاحب مجلة المواهب) والياس وزكي قنصل، وحسني عبد المالك، وسيف الدين الرحال، وعبد اللطيف الخشن (صاحب جريدة العلم العربي) ويوسف الغريب، وجورج عساف، وجبران مسوح، وجورج صوايا، وتوفيق شماس، وجواد نادر، وملاتيوس خوري، الا انها لم تعش غير

عامين (١٩٤٩ — ١٩٥١) فقد انفرط عقدها بعد عودة صيدح الى الوطن ، واندلاع نار الغيرة والشهوات التي كانت خامدة في الصدور .

برز اسم الشاعر جورج صيدح بشكل واضح في ميدان الشعر والادب ، فأخذت صحف الوطن والمهجر تتسابق الى نشر قصائده الطافحة بالروح الوطنية ، وراحت دور النشر تسعى لجمع هذه القصائد وطبعها في دواوين ، ومن هنا كان الاتفاق مع الفنان العراقي جميل حمودي صاحب دار الفكر الحديث في بغداد على طبع ديوانه الثاني « النبضات » عام ١٩٥٣ ، وهو زفرة من زفرات الالم القومي ، والايمان العربي .

استقر صيدح في بيروت عام ١٩٥٢ ، حيث اقترنت وحيدته « جاكلين » بالصحافي المعروف حنا غصن في العام التالي ، وظل مقيما فيها حتى عام ١٩٥٩ ، حينما انتقل نهائيا الى باريس ، مكتفيا بمراسلة اصدقائه المنتشرين في الوطن والمهجر .

دعـاه المرحوم ساطع الحصري — مديـر معهد الدراسات العربية العالية في القاهرة — ليحاضر عن ادب المهجر ، فألقى عدة محاضرات قيمة عام ١٩٥٦ ، كانت نواة كتابه النفيس « ادبنا وادباؤنا في المهاجر الامريكية » الذي طبع ثلاث طبعات في الاعوام ١٩٥٦—١٩٥٧—١٩٦٥ في القاهرة وبيروت ، ولاقى اقبالا وترحيبا منقطعي النظير في جميع الاقطار العربية والمهاجر ، ولا سيما في نطاق الجامعات التي اتخذته مرجعا هاما لدراسة ادب المهجر ، وكان ينوي ان يطبعه طبعة رابعة في بيروت او دمشق ، ويكلفني بالاشراف عليها ، لولا المرض الذي انهكه ، ولولا زهده في النشر بعد النكبات التي توالت عليه نتيجة لاحداث لبنان ، وقد كان حظه سيئا مع الناشرين بالاجمال ، لانهم عاملوه معاملة التجار الجشعين الطامعين في ماله ، كما حدث لـ ـه مع ناشر ديوانه « شظايا حزيران » عام ١٩٧١ ، ولم يكن حظه في نشر الجزءين الاول والثاني من « ديوان صيدح » عامي ١٩٧٢ و ١٩٧٣ بأحسن من حظه في نشر « شظايا حزيران » فقد كان ينوي استكماله في اربعة اجزاء ، الا ان المشروع توقف عند الجزءين المذكورين ، كل ذلك لانه بعيد ومريض في باريس ، ودور النشر في لبنان ، تعاني من ويلات الحرب ما تعاني ! . ومهما يكن من امر ، فيبقى ديوانه الضخم « حكاية مغترب » الذي طبعه في دار « مجلة شعر » في بيروت عام ١٩٦٠ خير ما يسد الفراغ ، ويرضي ذوق الدارس ، لانه انتقى قصائده بنفسه ، فنال بعض رضاه واستحسانه الى حد ما .

قلنا ان صيدح غادر مسقط رأسه صغيرا ، فيمم شطر لبنان بقصد الدراسة ، ثم مصر حيث اقام ثلاثة عشر عاما ، لكنه ظل مع ذلك يحن الى مدارج طفولته وملاعب صباه ، التي كلمـا تذكرها ، هاجه الحنين ، وتفجرت في نفسه ينابيـع الشوق . كتب لـي بتاريخ ١٩٧٣/٦/٢٥ يقول : « في رسالتك طائفة من الاسماء حبيبة الى قلبي ، تنقلني بالفكر والقلب الى ساحة المرجة ، وباب توما ، والقصاع ، والصالحية ، والغوطة ، حيث كانت لـي جلسات مـع الشهيد المرحوم جرجي موسى الحداد ، ومغامرات الغرام الاول الساذج مع تلميذة في الآسية ، وتمتمات غزلية وهجائية من مختلف العيارات ، ووقفات على منابر دمشق ، قبل بلوغي سن الرشد ... هذه ذكريات تنتفض من رماد السنين ، كلما قرأت رسالة منك ، وكان اول مـا قلته بعـد وصولي الى القاهرة سنة ١٩١٢ :

هجرت ربوع الشام والقلب مثخن   جريح سهام كان أقتلها الهجـر
ويممت قطـر النيل أطلب منهلا   ومثـل غليلي لا يبـرده قطـر
اذا البلبل الغريد فارق روضه   فكل رياض الكون في عينه قفر
سقى الله جنـات سقتني حنانها   كـأم على أحضانها الولد الغر
سكرت بها في فجر عمري وها انا   صحوت ، ولا فجر هناك ولا سكر

ويتألم كثيرا لانه نزح عن دمشق طري العود ، غض الاهاب ، لم يكتمل نضجه بعد ، لان رياح النوى الهوجاء قد طوحت بـ ـه ، وألقته بعيدا ، دون ان يقوى على ردها :

وداعا دمشق الشام لو ترفق النوى   لأورق عودي فيك وانعقد الزهر
واني لطير من طيورك لم تزل   تجاذبني تلـك الحدائق والنهر
ألا ان آمالـي ورود تفتحـت   مع الفجر ساعات فصوحها الظهر

ان الصفة البارزة التي كان يتميز بها صيدح هي الوفاء ، ليس لاصدقائه فحسب ، بل لبلاده التي فتح عينيه على جمالها الرائع ، وسحرها البديع الذي استأثر بمجامع قلبه ، فكان ينظر اليهـا نظرة فيها الكثير مـن القدسية ، والتقوى ، والخشوع ، كما في قوله :

يـا ديـارا عبدتها   . . . .
لـك قربـت مهجتي   وشبابي الذي انصرم
ومتاعـي وصحتـي   وشعوري ومـا نظم

لعـل سبب حنين صيدح الدائم يعود الـى عدم انسجامه مع محيطه الجديد ، في مهاجره المتعددة ، او بطئه في التكيف مع الاوساط الغريبة التي يحل فيها ، ولذلك يظل قلقا تواقا الى المنزل الاول الذي الفه ، ناهيك عـن انـه شاعر مرهف الحس ، تختلـف اهتماماته ونوازعه .. عن اهتمامات ونوازع من يحيطون به من التجار الذين كان يضطر الى مصانعتهم والتعامل معهم مكرهـا :

صاحبي ، مهما أجد في جولتي   من سلو لست عن أهلي بسال
ان للاحبـاب عنـدي وحشـة   رافقت سيري كرحل من رحالي
نفرت روحي مـن الروح التي   في محيطي وأبت كـل اتصال
حولي الناس الى المال سعوا   وأنا أسعى الـى قنص خيال

ان شعوره الدائم بوحشة الغربة ، وعدم الانسجام مع محيطه التجاري الذي ينفر من الشعر واهله ، ويخيم عليه السعي اللاهث المحموم وراء المال ، كان يحثه دائما على العودة ، ويزين له الرجوع الى الاوطان ، قبل ان تنصهر الروح بالدولار ، فهو ليس غريبا بجسمه فحسب ، بل بعقله واحساسه وافكاره :

ان الغنيمة في ايابك سالما … قبل انصهار الروح بالدولار
شر التغرب ان تعيش مغربا … بالعقل والاحساس والافكار

والاياب لازمة عنده ، لا يفتأ يرددها من حين لآخر ، كلما استعر الشوق في نفسه ، او ارقه الحنين الى الوطن ، او صافحت كفه كف صديق عائد لزيارة الاهل والخلان فيهتف قائلا :

يا وقفة بين دروب النوى … من لي بدرب ينتهي بالاياب
وضعت قلبي في يدي عندما … صافحت بالكف أكف الصحاب

وهو مقيم على حبه لوطنه ، لا يمكن ان تؤثر فيه الاحداث والنكبات ، وقد ينسى يمينه ، ولكن لا ينسى وطنه الغالي الذي درج على ارضه ، وكم كان يتمنى لو انتهى عمره فيه كما ابتدأ ، ولكن امنيته لم تتحقق للاسف ، فقضى نحبه بعيدا عنه ، واللوعة تنهش قلبه :

يا مسقط الرأس ، والارحام تجمعنا … حاشا تغيرني في حبك الغير
أنسى يميني ولا أنساك يا وطنا … فيك ابتدا ليته فيك انتهى العمر

واذا لم يقدر له ان يلقى منيته في دمشق ، فلا اقل من ان تهيم روحه في سمائها ، لترفرف فوق انهارها السبعة ، فوق اشجار الحور والصفصاف في غوطتها الغناء ، فوق القباب التي تحتضن قبور الاجداد العظام ، وتتحدث عن امجادهم العظيمة التي تركوها :

أوصيك بالروح رتبها متى انطلقت … الى ظلالك حيث الحور والشجر
حيث القباب على الاجداث حاضنة … أمجاد جلق كي يبقى لها أثر

ولما زار دمشق عام ١٩٥١ وفجع بوفاة اخته بعد وصوله بأيام قليلة ، واضطر الى مغادرتها كسير القلب ، مكسوف الخاطر قال :

أمضي وقلبي في دمشق رهينة … أودعتها قلب الثرى والجندل
في جيرة الشهداء حلت منزلا … وكأنها أخذت تهيىء منزلي

ولو سئل لماذا استأنف الرحيل ، وقد صار في حضن دمشق ، وحنت عليه كما الام الرؤوم ، لأجاب ان حبه الشديد لها هو الذي فرض عليه الاغتراب مرة اخرى :

حبي لها بالامس أوجب عودتي … واليوم يوجب هجرتي حبي لها
لولا الكرامة والاباءة والحيا … ما كنت أنفض عن ثيابي وحلها
حسبي من الاحلام بددها اللقا … ان الحنين غدا يلملم شملها
واذا الفطيم شكا قساوة أمه … تلقاه بعد الفطم يشكر فضلها

وعلى اي حال فان صيدح يظل الشاعر الوفي المخلص لوطنه ، تؤرقه احداثه الجسام ، وتشجيه احزانه الكبيرة ، وجراحاته النازفة ، لما وهبه الله من صدق في الايمان وصفاء في العقيدة ، ونبل في الاخلاق ، وكرم في الطباع ، فلنسمعه يقول بلسان كل مغترب :

كيف برتاح وتذكار الحمى … كلما أقعده الجهد أقامه
كم هذى مستعرضا لبنانه … وكم استعدى على البين شآمه

الواقع ان طيف دمشق لم يكن يغيب عن خيال صيدح ابدا ، يراوده باستمرار ، في الليل والنهار ، في اليقظة والحلم ، اما قيل : ان الفؤاد يتفتت على البعد ، كالمرآة تريك صورتك ، فاذا تفتت تريك الف صورة . كان قلبه يذوب شوقا اليها ، اما هي فمشغولة عنه ، قد سلت حبه ، ونسيت وداده :

ذكرتها نائيا والدمع هتان … أم تناست بنيها حالما بانوا
في قلبها من ندى أجوائها شبم … وفي فؤادي لذاك القلب نيران
دمشق ان قلت شعرا فيك ردده … قلبي ، كان خفوق القلب أوزان

ولا يفوته ان يذكرها بأنه ابنها البار الذي طوحت به رياح النوى ، وان نفسه لا تتوقف عن ذكرها لحظة ، ووجدانه لا يفتأ يناجيها ، وهو عليل لانه بعيد ، لا يشفيه الا نسيمها البليل ، وبائس قد اصطلحت عليه الهموم والاحزان اشكالا والوانا :

انا وليدك يا أماه كم ملكت … ذكراك نفسي ، وكم ناداك وجدان
أنا عليل النوى لا برء ينعشني … الا نسيم عليل منك ريان
منذ افترقنا نعيم العيش فارقني … والهم والغم أشكال وألوان

لم يكد يصل الى مهجره ، وتستبد به الغربة الكالحة ، وتحكم عليه الخناق ، حتى يأخذ بالتساؤل : متى يرده الموج الى وطنه الحبيب ؟ متى تلوي السفينة دفتها عائدة به الى شواطىء سورية ؟ لو كان بيده توجيه دفتها ، لما اختار الهجرة مطلقا ، ولكنها الاقدار تصنع به ما تشاء :

وطني ! أين أنا ممن أود ؟ … أوما للحظ بعد الجزر مد
ما رست حيث رست فلك النوى … لو أباحوا لي في الدفة يد
غاب خلف البحر عني شاطىء … كل ما أرقني فيه رقد

ثم ألم يعرف الدهر الذي ابعده عن وطنه واحبته ، انه قد فصل بين روحه وجسده ؟ لكنه مع ذلك سيظل وفيا لهذا الوطن الذي كان له بمقام الاب ، معتبرا بعده عنه يتما او كاليتم :

هل درى الدهر الذي فرقنا … انه فرق روحا عن جسد
وطني ، ما زلت أدعوك أبي … وجراح اليتم في قلب الولد

ويستفيق ذات صباح على نسمة ندية معطرة ، فلا يخامره ادنى شك انها محمولة اليه من روابي الشام ، لتهيج في فؤاده المعنى جمر الذكريات الهاجعة ، وتعرض امام ناظريه شريطا ملونا ، لا ابهى ولا اجمل :

باكرتني فاحضرتني الشآما … حين باحت أنفاسها بالخزامى
مرحبا يا ندية الثغر عودي … لحبيبي بالدمع أندى سلاما
ودعيني مع الغرام وشاني … لا تهيجي بالذكريات الغراما

لقد كان نصيب الشام من شعر صيدح وافرا ، وهي في رأيه تستحق اكثر مما اعطاها ، وكان يؤكد لي في رسائله انها كعبة الشعراء ، ومهبط الهامهم ، وقبلة عشاق الفن ، والجمال ، فكيف اذا كان هؤلاء من ابنائها ؟ ولما اخبرته انني اخترت عدة ابيات من قصيدته « بردى » لاقدمها درسا نموذجيا للطلاب على شاشة التلفزيون العربي السوري ، طار فرحا ، فكتب لي بتاريخ ١٩٧٧/١١/١٦ يقول : « رسالتك روضة طيبة الانفاس والاغراس ، ازهارها اخبارها ، واثمارها اشعارها ، تناولتها كالعليل يتناول دواءه ، وينسى داءه ، وشكرت مرسلها كجريح يشكر من ضمد جراحه ، بل فرحت كالاطفال يوم العيد ، بذلك الحدث السعيد ، في التلفزيون السوري ، الذي كنت انت محوره ومنبره ، وانا بروحي وشعري احضره واشكره ، فتنتعش روحي ، وينجبر خاطري الكسير ، في وضعي الحالي العسير .

ازدهتني ردة بلدي الى سابق عهدي ، في اذاعة شعرية فنية ، يتردد فيها ذكري وشعري ، وانا على حافة قبري ، كأنها انشودة الوداع لتلك الاصقاع التي شهدت مولدي وصباي ولم تنس شعري بعد نواي ، سلام الله عليها ، واشواقي اليها ، وحنيني الدائم الى ساكنيها ، اني اضعت قلبي في مغانيها ، وسيبقى بعدي فيها » .
والابيات التي اخترتها من قصيدته هي :

حلمت اني قريب منك يا بردى   أبل قلبي كما بل الهشيم ندى
دمشق أعرفها بالقبة ارتفعت   بالمرجة انبسطت ، بالشاطىء ابتردا
بالطيب يعبق بالوادي وأطيبه   في تربة الارض غذاها دم الشهدا
أمشي على الضفة الخضراء مؤتنسا   بالحور والسرو والصفصاف منفردا
تغوص في لجك الثرثار ذاكرتي   على الاغاني التي أسمعتني ولدا
أهواك في ثوبك الفضي زركشه   بدر الدجى بشعاع حوله مسدا
أهواك في صفحة للفجر ضاحكة   خط النسيم عليها شعره زبدا
أهواك في قلبك الشفاف لاح به   ظل المآذن والاشجار مطردا
أهواك كالليث وثابا ومقتحما   كالافعوان تلوى ، كالغزال عدا
أهواك في يقظتي أهواك في حلمي   أهواك مقتربا ، أهواك مبتعدا
ملأت منك يدي قبل امتلاء فمي   ولو قدرت ملأت الصدر والكبدا

ولكن على الرغم من تعلق صيدح الشديد بمسقط رأسه ، وتغنيه به ، وافتخاره بأمجاده ، الا انه لم يكن اقليميا ضيقا ، يتعصب لقطر عربي دون آخر ، بل عربيا منفتحا على جميع العرب ، موطنه كل ارض تنطق بالضاد ، ولا معنى عنده لهذه الحدود السياسية المصطنعة التي رسمها المستعمر ، ليبدد شمل العرب ، ويمزق وحدتهم القوميـــة :

عدنـــان في صدري يهش لخافق   ضم العروبة شاطئا وصعيدا
وطني حدود الضاد تمسح أرضه   لا أي مساح يخط حدودا
حسبي « فم الميزاب » ما قبلته   الا ومن « بردى » ذكرت برودا

واذا اضاع قلبه المفتون بحب قومه ، وراح يسأل عنه اهل الشام ، ولبنان ، وفلسطين ، ومصر ، ومكة ، واليمن السعيدة ، واسكندرونة ، وبغداد ... وجده اخيرا في صدر كل موحد بالضاد :

ساءلت أهل الشام عنه لعله   بين المآذن والجنائن باد
ووقفت من لبنان وقفة ضارع   يا جار ، رد لي الفؤاد الصادي
أيكون في القدس الشريف مصليا   وله بنو صهيون بالمرصاد
أم حل في مصر العزيزة لاجئا   فاحاطه المحتل بالاجناد
أم هام في اليمن السعيدة راضيا   بالفقر يعصمه من الاصفاد
أم عاد للاسكندرية لم يجد   في الربع غير أعاجم وأعاد
واها له من مستهام رائح   بين الجزيرة والكنانة غاد
ان صعد الزفرات في أم القرى   سمع القلوب تئن في بغداد
ما كنت أدري أن قلبي حاضر   في صدر كل موحد بالضاد

بهذه الطريقة جمع صيدح بين العرب الذين كتب عليهم ان لا يتفقوا ــ الا في الملمات ــ ، واتخذ من نفسه داعية حب وتفاهم وسلام ، ورسول خير ووفاق ، فأدى رسالته القومية على اكمل وجه ، وقام بواجبه نحوهم ــ كشاعر ــ خير قيام .

اعترف بأنني لم استطع ان اوفي الشاعر المرحوم جورج صيدح حقه من الدراسة ، وهو الشاعر الواسع الآفاق ، المتعدد الجوانب ، فقد قال شعرا في فلسطين وحدها ، ما يؤلف ديوانا كبيرا ناهيك عن « شظايا حزيران » هذا اذا لم نتوقف عند عشرات القصائد التي قالها في مختلف المناسبات الوطنية والقومية والاجتماعية ، في الوطن والمهجر ، وهي في مجملها تشكل اكثر من ديوان لم يطبع بعد ، وسيبقى ما قدمت نواة لدراسة جامعية يقوم بها احد طلاب الماجستير او الدكتوراه في المستقبل . وانني ادعو جميع اصدقاء صيدح المنتشرين في شتى انحاء الوطن العربي والمهاجر ان يبادروا الى نشر ما لديهم من رسائل ومستندات وذكريات وقصائد اخوانية ووثائق ، ليستفيد منها الدارسون ، وعندي منها ما لا يحصى ، وليس نشرها الا من قبيل الوفاء لهذا الشاعر الكبير ، الذي كان مثال الوفاء والاخلاص والنبل والاريحية في صداقته وعروبته ، واذا كنت لا احيط بأسماء جميع من كانت تربطه بهم اواصر الصداقة والاخوة والمراسلة الدائمة ، فحسبي ان اذكر : الياس وزكي قنصل ، عبد اللطيف اليونس ، مريانا دعبول فاخوري ، جواد نادر ، عبد اللطيف الخشن (في المهجر) وجعفر الخليلي ، وحيد الدين بهاء الدين ، يعقوب افرام منصور (في العراق) ومحمد عبد الغني حسن ، وديع فلسطين ، المرحوم رضوان ابراهيم (في مصر) والدكتور عيسى الناعوري ، روكس بن زائد العزيزي (في الاردن) وعبدالله يوركي حلاق ، الدكتور عدنان الخطيب ، فريد جحا ، عمر الدقاق ، عيسى فتوح ، عدنان الداعوق ، حسان الكاتب ، سعد صائب ، يوسف عبد الاحد ، عبده علام ، اسكندر داود (في سورية) ونزار الزين ، البير اديب ، فوزي عطوي ، محمد قره علي ، وليم صعب (في لبنان) وغيرهم ... ان هؤلاء قادرون على تشكيل لجنة او رابطة لتخليد ذكراه ، والعناية بآثاره ، والكتابة عنه في كل مناسبة ، لان صيدح لم يخلق لفترة او لجيل او لطائفة ، او مذهب ، بل خلق وعاش للامة العربية التي عبر في شعره عن ابرز خصائصها ومقوماتها ، فقد كانت تتهادى السمات الغسانية الشماء في برود شعره ، بكل اصالة قريش وعبقرية امية ، كما قال فيه المرحوم فؤاد الشايب .

وقال نزار قباني : « سعى صيدح الى المهاجر على سفينة مجذافها يحن الى ورائه ، وفي المهاجر لم يتحول الموال الى نغمة من نغمات الجاز ، بل ظل موارا بخصائصه العربية العميقة ، وظل يذكر جذوع الشوح ، وهفيف التنانير التي تعلم منها الرفة الاولى ، ودموع الياسمينة الباكية فـــوق البحيـــرة الشادية في داره الاولـــى ... في دمشق » .

دمشق **عيسى فتوح**
قصور ــ كزبري رقم ٤٨



محمد عبد الغني حسن

مع الشاعر محمد عبد الغني حسن

بقلم الدكتور عيسى الناعوري

الامين العام لمجمع اللغة العربية الاردني

* * *



عام ١٩٧٥ اهدى الي اخي الاستاذ الشاعر محمد عبد الغني حسن (ابو نبيل) ديوانه : « سائر على الدرب » . ومنذ ذلك الحين قرات الديوان واعدت قراءته مرارا . وكان اكثر ما يستوقفني فيه قصائده في فلذات كبده التي طارت نازحة عن العش الى البرازيل ، وتركت الاب والام يعانيان — لاول مرة ، وعلى عتبة الشيخوخة — مرارة الفراق ، ولوعة المسافة البعيدة تفصل قلبيهما عن اولادهما الثلاثة .

وابو نبيل شاعر رقيق ، وانسان مرهف الحس ، نبيل العاطفة حتى مع الآخرين ، فهو اذن احرى بأن يذوب رقة ونبل عاطفة مع بنيه ، تسلخهم الغربة القاسية عن صدره الابوي الحنون .

كان ذلك سنة ١٩٦٨ ، حين اعتزم نجله الاكبر (نبيل) الهجرة الى البرازيل ، فكتب الوالد الشاعر قصيدة بعث بها الى الشاعر المهجري الياس فرحات ، والى الكاتب الصحفي المهجري : موسى كريم ، صاحب مجلة « الشرق » يضع ابنه امانة بين ايديهما ...

يقول الشاعر محمد عبد الغني حسن :

أودعت بين يديكم فلذة الكبد ... وقلت : سر في أمان الله يا ولدي
قضى الطموح عليه ان يغربه ... عن ربعه الخصب ، او عن عيشه الرغد
الحب في عشه ، والماء في فمه ... لكنه هائم كالطائر الفرد
ظمآن ، والماء يجري في جداولنا ... والنيل يروي على الشطين كل صدي
آماله ضاق عنها الشرق ، فاغتربت ... ترى البعيد عليها غير مبتعد
الكون خطوة رجل عند همته ... والارض دانية الابعاد والامد

تلك هي المقدمة حول اعتزام نبيل الهجرة واصراره عليها ، لا عن حاجة واضطرار ، بل بدافع الطموح وبعد الهمة ، على الرغم من رغبة الابوين الملحة في بقائه معهما .

ويصف الشاعر وقع الوداع في نفسه ، فيقول في ترقبه :

فهل أطيق غداً توديعه بيد ... مرعوشة ، وفؤاد في مرتعد
يد المقادير فيما بيننا حكمت ... بكل ما لم تكن تقوى عليه يدي

وما دام الرحيل امرا لا بد منه ، فليكن لابنه من صديقيه المهاجرين ابوان آخران ، يعوضانه عن حنان الاب البعيد في مصر ، واليهما يسلم فلذة كبده ، فيقول ،

أستودع الله فيما بينكم أملا ... يومي لغربته مستشرق لغدي
أعد من أجله الايام سائرة ... فلا أوفق في الحسبان والعدد
أستغفر الله ! لم أعدده مفتريا ... ما بينكم ، فهو بين الاهل والبلد
لولا وجودكمو في دار هجرته ... ما كنت أسلمتكم يوم النوى كبدي

ان ادبنا العربي ، على طول عصوره ، ضنين بالشعر الجيد في الابناء . ولعل اشهر ما عرفناه منه قصيدة ابن الرومي في رثاء ابنه الاوسط . ولا شك في ان هنالك قصائد اخرى في الابناء قالها شعراء آخرون من الآباء والامهات ، ولكن شهرتها لم تذهب بعيدا مع العصور ، حتى اذا وصلنا الى عصرنا الحاضر وجدنا شعر الابناء لدى بعض شعرائنا المهاجرين — وقد خصصت له فصلا في كتابي « ادب المهجر » باعتباره ظاهرة جديرة بالدراسة .

وها نحن الآن مع شاعر آخر لوعه فراق ابنائه ، فذرف لوعته قصائد حارة حزينة ، هذه التي قدمت بعض ابياتها هي واحدة منها .

ولم يسافر « نبيل » وحده الى البرازيل ، بل رافقته زوجته ، ورافقه اخواه : يحيى ، وهانىء .

ولا يستطيع الشاعر الياس فرحات — بسبب المرض والشيخوخة — ان يخف للقاء الاخوة القادمين من مصر ، فيكتب بذلك الى ابيهم قصيدة اعتذار ، يقول فيها :

لئن كنت لم اذهب اليهم فانني ... لأذهب في تقديرهم كل مذهب
ابوهم له عندي أياد ، وشيمتي ... نرد الى الابناء ما كان للاب
ولكن دهرا كبلتني صروفه ... وصالت على ضعفي بناب ومخلب
أقام قصوري حائلا دون رغبتي ... وأوقف عجزي حائطا دون ماربي

الشهرة

لا أشتهي شهرة جسرا الى النار … منهـا جهنـم تصليني بـأوزار
ما من سبيل الى الجنات ندخلها … سوى الصلاح مع الايمان بالباري
لا شهرة شجت الاسماع صاخبة … ولا بجاه حـوى تدمير اعصار
ولا كنوز مـن الاموال دافقـة … ملكـا لغانيـة تقتات بالعـار
تأملي صـور الانسان أورثني … تقوى النهى ، عبرا تسمو بأفكاري
تأملي نعـم المولى . وقدرته … عبادة فرشت دربـي بأزهاري
تفكـري بخيالي الحـي منطلق … لا تنتهي بحدود منـه أشعاري
ونعمة شطحاتي عبـر أخيلتي … قد حلقت ، أملا يشدو بأسراري
وعزلتي في حياتي فهـي تمنحني … سكينة وسلاما .. درء أشراري
قـد سبحت خلجاتي في تعبدها … حتى استحالت الى روح وأنوار
لله قانتـة تهفـو لـه طمعـا … أدعوه يعصمني من كل أضرار
تلك الحياة اختيار ، ساقه عمل … اما بنجح الخطا ، اما بأوزار
بدايـة بانتهاء ، اذ يكافئنـا … ربـي بجنته أو في لظى النار

مصر الجديدة … نعمت عامر

ويرد الاب الشاعر محمد عبد الغني حسن علـى صديقه الياس فرحات بقصيدة طويلة يبثـه فيها حبـه لابنائه ، وشوقه اليهـم ، وعواطفه الملتهبة لفراقهم ، فيقول :

ابا خالد ! بالامس طال تلفتي … اليك ، واني اليوم طال ترقبي
فلي في حماك الرحب اطيب نعمة … تقابل مـن نعمي يديك باطيب
بنـي وافلاذي الذيـن تغربـوا … فغاب بهم عن كوكب السعد كوكبي
رماهم طموح النفس بين مناكب … من الارض قد اثقلن بالهم منكبي
تحاجزني عنهـم بحـار بعيـدة … ومـوج محيـط هـادر متقلـب
اذا نلتهم حلمـا فذلـك غايتي … وان رمتهم طيفـا فذلك ماربي

وماذا ترى يبقى له بعد هجرة ابنائه الثلاثة معا ، غير ان يترقب هو وزوجته البريد ليحمل اليهما خيالات الاحبة الغائبين خلف المحيط ؟ الرسالة منهم عمر جديد يضاف الى كهولة الابوين الاسيفين ، وامل يجيء من بعيد بعيد بين الكلمات والسطور ، منعشا كنسيم البحر في اصائل الصيف :

لنا الله من أم تقاسي على المدى … أشد جراحات الزمان ومن أب
تكب على ساعي البريد عيوننا … ونرقبه في البيت من كل مرقب
اذا ظفرت منـه يدي برسالة … فقد عدت من يومي باحسن مكسب
نقبلها في لهفـة وتشـوق … ونلثمهـا في فرحـة وتوثـب
ونسال ما بين السطور ... كأنما … نسائلها عـن كل معنى محجب
ونحفظها تحت الوساد تميمـة … تضوىء بشرا في الجبين المقطب

ولست اعرف في الشعر العربي من بلغ في وصف ساعي البريد وهداياه قمة الابداع الشعري مثل شفيق المعلوف في قصيدته (ساعي البريد) ، ومثل محمد عبد الغني حسن في هذه الابيات التي قدمت : وصف اللهفة الى رسائل الاحبة الغائبين ، ووصف الفرحة بتسلم رسالة منهم .

يقول شفيق المعلوف :

خلـف النوافذ أجفان مؤرقـة … اليه تخفق مـن وجد وتسهيد
يـا ساعيا بابتسامات توزعهـا … على الشفاه بـلا مـن وتفنيد
كم وجه أم عجوز ان برزت له … لـم تبق مـن أثر فيه لتجعيد
كان كـل كتاب منـك ملتحف … بابن الى صدر تلك الام مشدود

لقد التقى محمد عبد الغني حسن وشفيق المعلوف عند المعاني عينها ، وكلاهما ذو لوعة ، وكلاهما شاعر رقيق ، وكلاهما ذو حس مرهف ونبيل .

ولعل ابلغ ما يلخص لوعة ابي نبيل : محمد عبد الغني حسن ، على غربة ابنائه ، قوله في تقديم ديوانه « سائر على الدرب » ، تحت عنوان : « بلا تقديم » :

يـوم ودعت مـن بنـي ثلاثا … مـن وراء البحار ودعت انسي

رد الله الى ابي نبيل وأم نبيل غربة نبيل واخويه ، وحفظ لنا « عبد الغني » شاعر الحس الرقيق المرهف ، والعبارة الحارة المؤثرة .

عمان ــ الاردن … عيسى الناعوري

صفحة مجهولة من تاريخ التعليم

في سوريا ولبنان وفلسطين

الجمعية الامبراطورية الفلسطينية الروسية

بقلم يوسف اسعد داغر

* * *

الاخ العزيز ألبير

قبلاتي واشواقي ومحبتي وتقديري العالي

انا مسافر الى امريكا ولا اعرف اي متى نرجع . وارسل لك هذا المقال — ومن يدري — فقد يكون الاخير لي في مجلتنا « الاديب » الغراء .

يحز في نفسي ان اغادر لبنان الحبيب ، معبودنا بعد الله ، اجمل بلاد الله طرا مع ما هو عليه من محنة .

وساكتب لك من امريكا بالطبع ، فالى اللقاء ان لم نقل

adieu

بيروت في ١٩٧٩/٧/١٤ يوسف داغر

* * *

احتفل لبنان مؤخرا وشاركه ممثلو الادب والفكر في العالم العربي بمهرجان ميخائيل نعيمه كبير ادباء لبنان والعالم العربي اليوم ، بعد ان اتحف المكتبة العربية بروائع في القصة والنقد والشعر والفلسفة والاجتماع والحكمة والرواية والسيرة . والمعروف ان نعيمه هو ابرز واشهر خريجي المدارس الروسية التي انشأتها الجمعية الامبراطورية الفلسطينية الروسية(١) ، في فلسطين وسوريا ولبنان ، بين ١٨٨٠ و ١٩١٤ تاريخ دخول تركيا الحرب العالمية الاولى في آب ١٩١٤ الى جانب المانيا والنمسا مما ادى الى اقفال هذه المدارس في هذه البلدان .

فما هي هذه الجمعية الامبراطورية الفلسطينية ، يا ترى ، وما قصة هذه المدارس التي انشأتها في هذه الاقطار ، وكيف كان ذلك ، وعلى يد من ؟ أسئلة تبرز على الشفاه نحاول هنا ان نجيب عليها على ضوء التاريخ بعيدا عن كل انتماء عقائدي او حزبية او تشيع او ممالأة لاي اعتبار سياسي ، بعيدا عن كل دعاوة مغرضة ، مرضاة لاحد او ممالأة لاي كان .

من يلق نظرة ملية على اوضاع التعليم في هذه البلدان الثلاثة التي كانت خاضعة بين ١٨٨٠ — ١٩١٤ للدولة العثمانية ، ير كيف ان الدول الكبرى ، ولا سيما فرنسا وانكلترا والمانيا واميركا ، كانت تتنافس فيما بينها لبسط نفوذها وآدابها ولغتها في هذه الاقطار عن طريق انشاء المدارس فيها ، بحيث انه كان لبعض هذه الدول الاجنبية ، عشرات من المدارس للذكور والاناث ، الفرنسية منها تحتل مركز الصدارة من حيث العدد والاهمية ودرجات التعليم . وقد راحت روسيا القيصرية من جانبها تحاول هي الاخرى ، دخول هذا المضمار ، مضمار التعليم الذي احتدمت فيه المنافسة الدولية . وكيف لا تدخله وهي الدولة الارثوذكسية الكبرى ، حامية الارثوذكسية في الدولة العثمانية اذ يؤلف الارثوذكس الطائفة المسيحية الكبرى . وتنعم فيها بالولاء والتقدير والتعظيم ، كان ينمو ويعرف في النفوس على مر الاجيال ، من خلال العلاقات الوطيدة التي ربطت بين البطريركيات الارثوذكسية في سوريا وفلسطين وبين بطريركية موسكو . فشمرت في الربع الاخير من القرن التاسع عشر ، عن ساعديها ، وراحت تحاول ابراز غيرتها على الارثوذكسية ، بانشاء عشرات المدارس الابتدائية ، للذكور والاناث ، على السواء ، في كل من سوريا وفلسطين ولبنان ، معتمدة في تحقيق سياستها التربوية هذه على جمعية خاصة ، عرفت لدى الجميع « بالجمعية الامبراطورية الفلسطينية الروسية » ، كما كان من شأن الدول الكبرى الاخرى ، ان تعتمد في هذا المجال ، على الارساليات الدينية من كاثوليكية وانجيلية وعلمانية .

تأسيس هذه الجمعية

تأسست الجمعية الامبراطورية الفلسطينية الروسية ، في الروسيا ، في ١٨٨٠/٥/١١ وكان صاحب السمو الامبراطوري ، الغراندوق سرجيوس ، عم القيصر نيقولا الثاني ، رئيسا لها ، وامتدت رئاسته لها ٢٣ سنة ، كما كان الامبراطور نيقولا الثاني رئيس شرف لها . فقد نظم الجمعية ونفذ مقاصدها ، ورسم اهدافها التربوية ، ووضع مناهجها ، وسلحها بالعدد والعدد ، ويسر لها من تبرعات كبار الاسر الروسية واغنيائها ، ما مهد لها الطريق والسير قدما غير عابئة بالعراقيل التي اقامتها في وجهها ، البطريركية اليونانية في القدس ورهبان اخوية القبر

(١) — بحث مستمد من دراسة انفة لنا بعنوان : « الثقافة الروسية وأثرها في الادب العربي الحديث » ، وتقع في نحو ٣٠٠ صفحة مطبوعة على الآلة الكاتبة ، قدمناها لمؤتمر المستشرقين الثالث والعشرين الذي انعقد في موسكو ، عام ١٩٦٠ ، وستصدر قريبا انشاء الله . ولا نخال احدا تعرض لهذا البحث بمثل هذا الشمول وهذه الاحاطة المدعمة بالمراجع والاصول العربية والغربية .

المقدس . فقامت الجمعية بتأسيس ١١٤ مدرسة في كل من فلسطين وسوريا ولبنان ، عدا عن الكنائس او الاديرة والفنادق والملاجىء التي تم بناؤها وتشييدها بالمساعدات الروسية ، والمصحات التي اقاموها في القدس وغيرها من المراكز الكبرى .

وهذه المنشآت كانت في الاصل معدة للترفيه عن الحجاج الروس ، يأتون بالالوف كل سنة ، لزيارة الاماكن المقدسة ، تنقلهم السفن الروسية من مدينة اوديسه اكبر مرافىء البحر الاسود ، وتنزلهم في يافا ، فيصلون فلسطين قبيل عيد الميلاد ببضعة ايام ويبقون في البلاد ثلاثة اشهر على الاقل بانتظار الاحتفال بعيد الفصح المجيد ، يطوفون سيرا على الاقدام ، من الجنوب الى الشمال ، يزورون الاماكن المقدسة في اليهودية والجليل والسامرة ووادي الاردن ، يستريحون من عناء السفر في هذه الفنادق والخانات والمباني الضخمة التي اقامتها لهم الجمعية الامبراطورية ترفيها لهم ، لقاء مبالغ زهيدة ، وكانت مواسم الحج الروسي تحدث حركة تجارية واقتصادية في البلاد ، كما استطاع عدد كبير من المحلات التجارية في القدس والناصرة ، اقتباس الكثير من الكلمات الروسية يستعينون بها للتفاهم مع الحجيج الروسي .

ومن المساعدات المالية الحرية بالتنويه التي كانت ترد على الجمعية الامبراطورية ، غلة الصواني التي كانت تجمع في كل كنائس الروسيا يوم احد الشعانين ، مؤازرة لها بمشروعاتها التربوية . وكان المؤمنون يتبرعون بسخاء ذلك الاحد ، مناصرة للمشاريع التي تقوم بها الجمعية الامبراطورية التي تنعم بعطف الامبراطور ورعايته العالية .

المحاولات السابقة لتأسيس الجمعية الامبراطورية

منذ مطلع القرن التاسع عشر ، جرت محاولات عدة لدى الامبراطور اسكندر الاول وخلفائه من بعده ، لاقامة اديرة للزوار والحجاج الروس في القدس ، وكرر السعي في ما بعد ، قسطنطين باسيلي مستشار قنصل روسيا في بيروت . وبعد زيارة لفلسطين قام بها الارشمندريت برفيروس اسبنسكي بتكليف من المجمع المقدس ودرسه الوضع في فلسطين ، رفع مذكرة مسهبة للمجمع المذكور بين فيها ضرورة تأسيس رسالة روسية كبيرة لاغاثة سوريا ولبنان ومصر عامة وفلسطين خاصة ، يكون مركزها القدس . واذ ذاك ، اصدرت وزارة الخارجية الروسية اوامرها بتأسيس هذه الرسالة يكون هو رئيسا لها ، ثم الحق به كيرللس ، مطران متليني (١٨٥٨ ــ ١٨٦٢) ، وتعاقب على رئاسة الرسالة ثلاثة رؤساء بينهم انطونيوس الثاني (١٨٦٥ ــ ١٨٩٤) الذي في عهد رئاسته ، تأسست الجمعية الامبراطورية .

الخطوات الاولى

ابدت الجمعية اهتمامها ببلاد الجليل ، فانشأت مدارس خارجية في كل من قرى : المجيدل والشجرة وكفر ياسين ، مما اثار حفيظة البطريك الاورشليمي اليوناني ورهبان اخوية القبر المقدس اذ راوا في هذا العمل ، تحديا لهم وتعديا على حقوقهم الكنسية ، فوقفوا في وجه الجمعية واقاموا امام عملها العراقيل . ولم تلبث ان تركزت اعمال الجمعية الامبراطورية في مدينة الناصرة نفسها ، وهي اذ ذاك ، قلب الارساليات الانجيلية واللاتينية ، وتمكنت من انشاء مدرستين ابتدائيتين ، ومدرسة داخلية كبيرة برئاسة اسكندر جبرائيل كزما الدمشقي الذي كان تخرج من مدارس الجمعية واكمل دراسته الجامعية في اكاديمية موسكو . وفي سنة ١٩٠٠ ، حولت الجمعية مدرستها الداخلية في الناصرة الى دار للمعلمين التي تخرج منها اديبنا الكبير الاستاذ ميخائيل نعيمه وعدد كبير من الادباء والشعراء العرب ، بينهم من باب المثال لا الحصر ، خليل السكاكيني وخليل بيدس وسليم قبعين واسكندر الخوري البيتجالي ، في فلسطين ، وانطون بلان ونسيب عريضه وندره حداد ، من حمص ، ورشيد ايوب من بسكنتا ، ونظير زيتون وغيرهم كثيرون .

اما في سوريا فقد لقيت الجمعية الامبراطورية تشجيعا كبيرا من قبل المقامات الدينية الارثوذكسية ولا سيما من قبل المطران اثناسيوس عطاالله ، رئيس اساقفة حمص . فقد تسلمت الجمعية الامبراطورية ، اول ما تسلمت ، مدرسة البنات الارثوذكسية في دمشق ، عام ١٨٩٥ ، ثم زمام مدرستين للصبيان في حمص ، وانشأت مدارس عديدة في العديد من القرى المجاورة لحمص واخرى في حماه واللاذقية بحيث بلغ عدد مدارس الجمعية في سوريا ، خمسين مدرسة .

وقد كرست الجمعية المذكورة جهودا كبيرة لانشاء المدارس في لبنان وفي كبريات القصبات والقرى اللبنانية في الكورة والمتن وطرابلس وبيروت والقرى المجاورة لها . فقد انشأت الجمعية في بيروت سبعا من المدارس للاناث ، انشئت تحت رئاسة سيدة روسية فاضلة ، هي السيدة تشيركاسوف الملقبة « الماما » التي كانت عملت من قبل في الرسالة في اليابان ، والتي توفيت في بيروت ، عام ١٩١٨ ، قامت اولى هذه المدارس في محلة المصيطبة على مقربة من كنيسة مار الياس البطيني ، ومكان هذه المدرسة ، هو اليوم ، دار السفارة الروسية في بيروت . والثانية مدرسة محلة المزرعة ، على اسم الملاك ميخائيل ، ومدرستين في راس بيروت ، بجوار كنيسة سيدة النياح ، احداهما على اسم العذراء مريم ، والثانية على اسم القديس جاورجيوس . اما الخامسة منها فقامت في محلة الرميل .

وامام هذا النجاح والازدهار تلقاه مدارس الجمعية الامبراطورية في سوريا ولبنان، اتخذت الجمعية في مؤتمرها العام الذي انعقد في موسكو، عام ١٩١٣، قرارا بانشاء جامعة روسية في بيروت على غرار الجامعة الاميركية (الكلية السورية اذ ذاك) وعلى غرار الجامعة الفرنسية، تضم العديد من الكليات اسوة بالجامعات القائمة اذ ذاك. ولم يدر قط في خلد لمخططين ان الحرب العالمية كانت على الابواب، وما ان دخلت تركيا الحرب الكبرى الى جانب المانيا والنمسا، ضد روسيا وفرنسا وانكلترا، حتى أمرت السلطات التركية باغلاق المدارس الروسية في كل من فلسطين وسوريا ولبنان، وكان عددها ١١٤ مدرسة تضم معا ١٥ الف طالب وطالبة.

وقد كان من تطور تلك الحرب وحدوث الثورة البلشفية في روسيا ان قلبت الحكم القيصري وقضت على عائلة رومانوف المالكة واستأصلت شأفتها من كل الروسيا فعفت آثار الجمعية الامبراطورية.

سياسة الجمعية في التربية والتعليم

عهدت الجمعية الامبراطورية الى نائب رئيسها الوزير انيشكوف الذي خدم مدة طويلة وزارة المعارف في روسيا، مهمة وضع برامج التدريس في مدارس الجمعية وسن القوانين في ادارتها كما عهدت الى احد كبار العاملين فيها السيد خيتروفو، ناظر مدارسها العام، بتعريب اهم الكتب العلمية والتربوية المعتمدة في مدارس الجمعية. فعهد هذا الى رئيس دار المعلمين في الناصرة المرحوم اسكندر كزما امر ترجمتها الى العربية، كما قام المرحوم جبران فوتيه، استاذ اللغة العربية بدوره بتنقيحها.

وكانت الجمعية توزع الكتب المدرسية وكل ما يحتاج اليه التلاميذ من اوراق وحبر واقلام وقرطاسية مجانا لا تتقاضى عن هذا كله فلسا واحدا او رسوما دراسية، بل تبدل لهم كل سنة كتبهم القديمة، بكتب جديدة، وتوزع عليهم الجوخ الكحلي الثمين ليصنعوا منه ثوبا يلبسونه في عيد القيصر. كذلك كانت الجمعية تنفق على تخريج المتفوقين من تلاميذها فتبعث بهم الى اكاديميات وجامعات روسيا في بطرسبرج وموسكو وقازان، وتطبب المرضى مجانا وتقدم لهم العلاجات والعقاقير دونما تفريق او تمييز، مكافحة منها للجهل والمرض والفقر في البلاد. وقد أنشأت الجمعية مستوصفات كثيرة، في كل من بيت جالا حيث قامت دار للمعلمات، وبيت لحم والناصرة، والقدس ودمشق وحمص، بلغ عدد الذين استشفوا فيها واستطبوا، في شهر كانون الثاني عام ١٩٠٧ اكثر من ١١٢٥٠ مريضا.

كان سكرتير الجمعية وعضو مجلس ادارتها ونائب رئيسها فاسيلي خيتروفو رأى بعد فحص دقيق عدم اهلية المعلمين والمعلمات في مدارس الجمعية، في اول عهدها. فكتب الى مجلس الادارة في روسيا بهذا الشأن قائلا: «لوامكن للجمعية ان تملأ كل فلسطين بالمدارس لجاءت المنفعة باطلة كما لو طرحت في البحر لعدم كفاءة المعلمين». فأرسلت اليه الادارة للحال تعليمات باعداد دار للمعلمين داخلية وان يحصل على رخصة من الحكومة المحلية وان يجهز اللوازم الضرورية لها. وهكذا تم افتتاح دار المعلمين في ١٣ ايلول ١٨٨٦، واحتفلت الجمعية باليوبيل الفضي لتلك الدار في ٣ ايلول سنة ١٩١١.

نثبت في ما يلي مقالا كتبه المرحوم الاستاذ اسعد داغر ونشره في المقتطف(٢) حو ل الجمعية الامبراطورية وما كان لها من شأن ونفوذ، ومجانية التعليم في مدارسها، وطرق التعليم التي تترسمها الى غير ذلك من الاوصاف التي تجعل الكثيرين من الناس يتساءلون اين مدارسنا اليوم من تلك المدارس ويترحمون على عهد كان فيه التلميذ يلقى، وهو في المدرسة من الرعاية والعناية والسهر اين منها رعاية معلمي مدارسنا وعنايتهم بطلابهم اليوم.

« نشأت جمعية فلسطين الروسية الامبراطورية في فلسطين. وما أبطأت ان امتدت مدارسها شمالا واتسعت شرقا وغربا حتى بلغت دمشق فحمص فحماه وجازت بشمال لبنان حتى داخلت طرابلس الشام وملحقاتها وامعنت في الجهة الشمالية حتى بلغت اللاذقية، وعن قريب تجتازها الى انطاكية وحلب فتعم كل اقطار سورية. وبعد ان كانت مدارس هذه الجمعية تعد بالآحاد ومعلموها بالعشرات وتلامذتها صبيانا وبنات ببضع مئات، اصبحت مدارسها الآن تحصى بالمئات ومعلموها كذلك وتلامذتها بعشرات الالوف. وقد اخذت الجمعية الروسية تزاحم الارساليات الكاثوليكية والانجيلية وقد اوشكت ان تنال قصب السبق عليها في مضمار التقدم والنجاح والوصول الى ضالتها المنشودة. وكثيرا ما كانت مدارسها تفضل غيرها من المدارس الانجيلية او الكاثوليكية. اما الاسباب التي مكنتها من سرعة الانتشار واعانتها على هذا الاستظهار فكثيرة، اهمها:

١ – قدرة الجمعية ونفوذها

فليس من جمعية اجنبية في سورية تستطيع ان تباري في نفوذها جمعية مبعوثة من مجمع عظيم في بطرسبرج، رئيسه العامل صاحب السمو الامبراطوري الغراندوق سرجيوس عم جلالة القيصر. والقيصر نفسه هو رئيس شرف لهذا المجمع. ويروى انه لما جلس القيصر على عرشه

(٢) – المقتطف، اكتوبر ١٩٠١، ص ٩٠١–٩٠٤ – واسعد داغر، صاحب المقال (١٨٦٠ – ١٩٣٥) هو من مشاهير الادباء وحملة الاقلام البارزين في النهضة الادبية الحديثة في الربع الاخير من القرن التاسع عشر والثلث الاول من القرن العشرين. وقد ترجمنا له مطولا في مصادر الدراسة الادبية، ج٢، ص ٣٥١–٣٥٤

كتب الى سمو عمه يشكر له اهتمامه بنجاح مصالح هذه الجمعية ويعلن قبوله لان يكون لها رئيس شرف مكان ابيه اسكندر الثالث ، واستعداده لسحق كل قوة تقف في طريق تقدمها وانتشارها . فمن يتتبع اعمال هـذه الجمعية ونشاطها في سورية لا يرى في طريقها اي شيء من العثرات والمصاعب التي تقام علـى الدوام في طريق الجمعيات الاخرى . واذا اتفق حدوث شيء من ذلك فانه في الحال يزول . . . حتى اذا ما رأى الناس شدة حول هذه الجمعية وما وراءها من القوة التي تميد لها الرواسي لاذوا بأكناف الاستكانة وانزاحوا من طريقها آسفين نادمين .

٢ ــ مجانية التعليم

عممت الجمعية الروسية التعليم المجاني في كل مدارسها بلا استثناء ونهت الرؤساء والمدراء نهيا مطلقا عن تكليف احد الاولاد ، غنيا كان او فقيرا ، ان يدفع غرشا واحدا مدة وجوده فيها ، بل يتلقى العلوم ويتناول الكتب والدفاتر والاقلام والحبر والورق وكل ما يحتاج اليه مجانا بلا ثمن على الاطلاق ، وهذا ، كما لا يخفى ، اكبر مغر للآباء والامهات بارسال اولادهم اليها تخلصا من نفقات التعليم واثمان الكتب ، بينما اخذت مدارس الارساليات الاخرى تتنافس في ضرب الاجور الفاحشة والنفقات الباهظة على الذين يطلبون تحصيل العلوم في مدارسها .

٣ ــ علاقتها الدينية

ان طائفة الروم الارثوذكس هي اكبر الطوائف المسيحية في سوريا وكان اكثر اولادها ، قبل انتشار مدارس الجمعية الروسية غرضا ترمي اليـه الجمعيات الاجنبية وصيدا تحتال على اقتناصه . فلما دخلت الجمعية الروسية ، وليس من يجهل تفاني الروم الارثوذكس في حب الروس ، غصت مدارسها على الفور بأكثر اولاد هذه الطائفة . وقد اعان حـب الروم الارثوذكس الروس ، الجمعية الروسية على توثيق هذه العلاقة وزيادة تمكينها .

٤ ــ طرق التعليم

مما امتازت به هذه الجمعية على غيرها من الجمعيات الاجنبية في سورية ، انها سنت لمدارسها قوانين هي غاية في الدقة والضبط . وقد روعيت صحة الاولاد الجسدية ونشاطهم العقلي وسيرتهم الادبية ، مراعاة لم تترك حاجة لمستزيد . وهذه القوانين مطردة الاجراء بسرعة في كل مدارسها . ولا مطمع لاحد مـن اساتذتها ومدرسيها في مخالفة واحد منها بدون ان يعرض نفسه للتوبيخ ثم لنقص الراتب واخيرا للطرد .

فمن قوانينها ان يعطى الاولاد من ابن عشر سنين فصاعدا فسحة (فرصة) عشر دقائق كل ساعة لاراحة الذهن من التعب العقلي . اما الاولاد الذين هم من ابن ست سنين الى التسع فيعطون ، كـل نصف ساعة ، فسحة عشرين الى ثلاثين دقيقة لحداثة سنهم . وفي كل فسحة ينبغي ان تخرج جميع الفرق (الصفوف) ازواجا ازواجا كأنها فرق عساكر مدرسية على المسير بغايـة الانتظام والترتيب ، لا يسمح لولد ان يمشي محدودبا ، بل عليه ان يسير منتصب القامة مرفوع الرأس مكشوفه ويداه على جانبيه ، موقعا خطواته على خطوات رفيقه . وفي اثناء اللعب ، لا يؤذن للمدرسين ان يتنحوا عن التلاميذ ، بل يفرض عليهم ان يكونوا واقفين معهم وبينهم ، وعيونهم مفتوحة لمراقبة العابهم وتلافي خطر اللعب العنيف بالايدي قبل وقوعه ، وتدريب الاولاد على الالعاب المروضة للاجساد والعديمة الضرر . وعند نهاية الفسحة ، يقرع الجرس قرعة واحدة ينقطع عندها الاولاد عن الحركة والتكلم ويقف كل منهم حيث كان كأنه آلة جامدة ، ثم يقرع لهم الجرس ثانية ، وبأسرع من لمح البصر ، يسرع كل منهم الى مكانه في الصف ، ويقف احد الاساتذة امامهم ، كأنه قائد عسكري ويأخذ في استعراضهم ثـم يشير اليهم بالسير فيمشون مرنمين الحانا يوقعونها على اقدامهم حتى تدخل كل فرقة منهم الغرفة المختصة بها . وعلى كل استاذ ان يفحص كلا من تلاميذه قبل مباشرة التدريس ليرى هل اتم شروط النظافة المطلوبة منه فينظر راسه ووجهه وصحته وبدنه ثم يشير ، في دفتره ، الى الغائب منهم وسبب غيابه ويشرع بعد ذلك في عمله . ومن قوانين هذه المدارس ان لا يسمح للمعلم بالجلوس في اثناء التدريس او التسميع ، بل عليه ان يكون واقفا منتصبا امام الفرقة وعيناه ترقبان كل ولد واذناه مصغيتان الى كل كلمة .

وعلى كل استاذ عندما يلاحظ كللا او تعبا عقليا طرأ على تلامذته ان يوقف العمل هنيهة ويريح اذهانهم بأن يقص عليهم قصة قصيرة مضحكة توجب مسرتهم او ان يأمرهم بالنهوض والجلوس معا مرات متوالية ثم يرجع الى عمله حتى تنتهي الساعة .

والتدريس في هذه المدارس لا يعول على حفظ الدروس غيبا في الكتب بل في الاكثر على شرح الاساتذة وبسطهم للمواضيع المهمة في ذلك الدرس حتى أنهم يدرسون فنونا كثيرة ، القاء ، بلا كتب . وعندما يبتدئون يعلمون الاحداث لغة ما ، سواء اكانت العربية او احدى اللغات الاجنبية ، لا يؤذن لهم ان يرهقوا عقول الصغار بتعليمهم اسماء الحروف الهجائية بـل يقتصرون علـى تعليمهم اصوات الحروف لا غير لان هذا هو الشيء المهم للولد في بادىء الامــر .

وخلاصة الامر ان الاستاذ في هذه المدارس ينبغي ان يكون له صبر جندي . وخفة الضابط وحذق القائد ، والا حذفوه من حالق ولو كان صدره مدفن حكمة الاولين وعلوم المتأخرين ، ولذلك نرى النجاح حليفا لها . وقد شاعت اللغة الروسية في انحاء سوريا على قرب عهدها .

يوسف اسعد داغر





بقلم حسني سيد لبيب

مضت ... واستبقت صورتها معي .

رجوتها ان نلتقي لقاء آخر ، كي اعطيها رسائلها والصور . رمقتني عيناها . واسقط في يدي . تمتمت شفتاي بصوت داخلي لا يسمع . عجزت عن البوح بما اريد . ابت ان تعدني بلقاء جديد ، واصرت على ان يكون لقاء الصدفة ، هو اللقاء الاخير .

واحترقت مع الذكريات . عدت الى البيت حطام جسد ، اقلب في رسائلها ، وارنو الى صورها .

رسائل حب صادقة . احس بصدقها في كل كلمة ، ومن رائحة الورق . وصورتها قبالتي ، عيناها اللماحتان ، الضاحكتان ، كيف انقلبتا نهرين يبكيان الحب الغارب ؟ .

مضت في طريقها .

وسرت انا في غير طريقي ! . سرت وحدي ، افترقنا ، دون كلمة تحية ، او ابتسامة . كلانا جريح .

ناني الغالية ، يا اعز نداء شدوت به . ترى ، هل تستبقين رسائلك عندي ، كي تظل ذكرى حبنا باقية ؟ . هل تستبقين صورك ، كي تمثلي في خاطري حين يشتد بي الوجد ؟ . ورسائلي ، ما مصيرها ؟ . هل تحتفظين بها ؟ . أم آلت الى النار ، واحترقت حروفها الخضراء ؟ . هل يشدك الحنين الى سطورها ؟ . ام انزوت في ركن معتم ، وتراكمت فوقها اتربة النسيان ؟ .

وكلماتي .. ماذا يعن لك وانت تقرئينها الآن ؟ . كتبتها بذوب فؤادي ، وبأعصابي المرهفة . كتبتها لحنا من الحان هوانا . لا ، لم اغالط .. ولم اكذب .. فأنت حبي ، واغلى ما املك . انت كنزي ، وان حجبته عني الغاز الحياة ومنطقها الاعرج .

مضت ناني في طريقها . خطواتها حزينة . وسرت وحدي كاسف البال . خيوط العنكبوت تلتف حولي . ما زال الامل معقودا على لقاء آخر .

الذكرى تشتعل في ليلي الحزين . وناني الحبيبة ، الغالية ، ما زالت تؤرقني في صحوي ونومي . ما زالت تشعل النار في دمائي . النداء الحبيب ، بت اشدو به وحدي ، اعزفه معزوفة نسجت انغامها من حبنا الدافىء .

كنت سائرا على غير هدى ، ذات يوم من ايامي الحزينة ، بلا رفيق . أراها في كل مكان . كانت لنا ذكريات في كل شبر من الارض . هذا الكازينو ، كم جلسنا فيه وتطارحنا الغرام ، كم ضحكنا ، كم تبادلنا الشوق انغاما شجية ! . وهذا الطريق ، كم زرعناه جيئة وذهابا ، ولا نمل ابدا ، وفي كل مرة نكتشف اننا بحاجة الى معاودة السير فيه ! . وحدثتني حبيبة القلب عن سر هذا الطريق ، ذي الاشجار الخضراء الوارفة الظلال . ونظل نسير ، ذراعانا متشابكان ، ويدانا متعانقتان . ودار سينما ، كم ولجنا بابها ، واخترنا مقعدينا الاثيرين .

نلتقي ، فنتبادل رسائل الحب ، فلم تكن اللقاءات تكفينا . كنا نظل ساهرين والنجوم تحرسنا ، تتلألأ على صفحة السماء ، والبدر يضاحكنا ، يشاركنا السمر ، ينشر نوره الفضي على جسدينا .

كنت سائرا اقتات ذكرياتي ، عازفا عن عالمي الذي حولي ، فاذا بها قبالتي . ناني امامي ، ويا لها من صدفة عذراء ! . التقت العيون ، وارتعشت الشفاه . اسقط في ايدينا . كلانا لم يدر ما يقول . كلانا مشدود الى الآخر ، برغم الظنون التي لعبت براسينا ، وقوضت احلامنا . وحين تلفتنا حولنا ، اصخنا السمع لاقاويل الناس ، وادعاءاتهم . وتهدم هيكل الحب في لحظة ! . ما بنيناه في سنين ، تقوض صرحه في لحظة ! . ما ابعد خيالاتنا عن هذا التصور ، ونحن الذين تجاوزنا السحب بأمانينا العذبة ! . طائر الحب الذي اطال التحليق فوقنا ، قد تكسر جناحاه ، ولا يملك غير الدموع باكيا عهد الهوى وقد اصابه ما اصابنا من كمد .

ناني الغالية ، هي الواقفة قبالتي . لكنها الحب الذي اندثر من على خريطة الحياة ، وما زال نابضا في صدري ، ما زال يشع النور الطهور في وجداني .

سارت بجانبي صامتة ، لا تتكلم . اسرعت خطواتها . رجوتها ان تبطىء ، او تشاركني جلسة هادئة . ومض شعاع الحب في عينيها . ما زالت عيناها محتفظتين بقبس من نور الحب . رنت الي صامتة .. ثم تمتمت :

— كل شيء نصيب .

ولعنت الاقدار العمياء . سحقا لها . ناني ، يا اغلى نداء ، الحب ابقى من كل شيء . الحب اسمى من كل شيء . الحب اغلى من كنوز الذهب . الحب . الحب . الحب .

آه يا ناني ، لو تسمعين ندائي ! . لكنك ارتضيت الصمت ، ولا تخرجين عنه الا لماما ، بعد ان كنت تملئين المكان بكلماتك الحانية الدائمة . انه النصيب . انها الاقدار العمياء . انها الحياة . وبرغم صمتك ، اقرأ في عينيك اشياء جميلة . ما زال الحب نابضا في عروقك ، مشرقا في عينيك . ما زال الحب حيا شاخصا امامك . دثرت احاسيسي بأردية الصمت

اتعب الترحال خطوي

يـا يماما ، كان في يـوم يماما لست ادري كيف اهديك السلاما
صوح الضوء الذي عشنا لـه يـوم صيرناه ظلمـا وظلامـا
رحلتي طالت ، فهل مـن أوبة تنفـخ الروضة وردا وخزامى
كـل أرض جئتهـا مبتسمـا حسبت انـي أجيـد الابتساما
لـم يطالعهـا أسى كابدتـه كاتمـا تلـك التباريح القدامى

كنت في ثغـر الضحى أغنيـة تمـلأ الاكـوان بشرا ووئامـا
باعـدت مـا بيننـا أكذوبـة لا رعت عهدا ، ولا صانت ذماما
أصبح الحـب الذي وحدنـا يستثير الكون ، حقدا وانتقاما
يـا يـدا عاثت بنـا تفرقـة هـل ترويت نفـورا وانقساما
فـاذا الحب حـرام في دنـى لـم تذر فينا حـلالا أو حراما

يسأل الشوق الذي في خاطري أتـرى أبقيت في الكأس مداما
هـل ترى نظمأ ؟ هـلا نهلة نرتوي منهـا جنونـا وهيامـا
أتـرى ترجـع أنفاس هـوى شاقنا بوحـا ، واحيانا غراما
أم نجوع الدهر ؟ والدهر على كفنا الواله قـد ألقى الزماما

الندامى ! أيـن منـي عهدهم ليتهـا ترجـع أيـام الندامى
أرقت أجفاني الظمأى ، فيـا نعـم جفن قـر أحلاما وناما
أتعب الترحال خطوي ، صدقي هل ترى خطوك في البعد ترامى
أم تراه ، مثل خطوي ، لم يزل متعبا لـم يـدر للجرح التئاما

فوزي عطوي

الثقيلة . قضيتي خاسرة . وحين حدثتها عن رسائلها وصورها ، عن اشياء غالية اصبح من واجبي ان اردها ، صمتت ... وعرفت من صمتها انها تستبقي شيئا على سبيل التذكار .

ارتعشت شفتاها ، ولم تجد جوابا . قلت في قوة :

— دعك من رد الرسائل والصور . ولنعد كما كنا . لكن اقوى من الظروف .

تمتمت بصوت واه :

— لكننا ، لسنا اقوى من الاقدار .

— هي من صنعنا ! . اليست ظنوننا هي الاصل فيما حدث ؟ .

— لكن الظنون صنعت الاباطيل ، وصدقها الناس .

— لا يهمني الناس .

— تعقدت المشكلة ، وفات اوان الحل والربط .

— التسامح رسالة الانبياء .

— لسنا في زمن المعجزات .

— اقول التسامح رسالة الانبياء.

— للناس ناموس يتعايشون به ، ونحن منهم .

— قد يكونون كفارا ! ...

— لا تنس اننا بشر .

— ولا تنسي حبنا . الحب نور . الحب ايمان .

صمتت . ارتعشت شفتاها من جديد . حارت في الجواب . حيتني بايماءة من رأسها ، وخطت بعيدة عني . لكنني هرولت في اثرها . قلت :

— لك عندي رسائل وصور ، اريد ان اردها .

— فيما بعد ...

— متى ؟ .

رمقتني عيناها الحزينتان . وانبجست دمعتان ، صنعتا لؤلؤتين تتألقان على خديها . اشاحت وجهها كي تحبس المزيد من الدموع . ثم رفعت قامتها ، ومضت في طريقها . جمدت في مكاني لحظات . مات الموعد في شفتيها . وانتحرت بقايا الكلمات في جوف حلقي . تباعد ظلانا ، وظلا يتباعدان . وفي كل خطوة اخطوها بعيدا عنها ، يزداد خفق قلبي والتياعي ، ويزداد حنيني .

ولكن ... طائر الحب المهيض الجناحين ، لم يعد قادرا على التحليق ! .

القاهرة حسني سيد لبيب

الشاعر محمد مصطفى الماحي

بقلم الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي

* * *



زلت اذكر شاعرنا الكبير الخالد ، محمد مصطفى الماحي ، وهو ينشد شعره امام الجماهير ، وهي مأخوذة بسحر بيانه ، وروعة تصويره ، وسمو حكمته ، وجمال صياغته ، ونبل معانيه .

وكان الماحي يشبه حافظا شاعر النيل في اسلوبه وديباجته ، وفي كلاسيكيته المعبرة المجودة ، وعموديته الساحرة الآسرة ، وفي توفره على الشعر الوطني الاجتماعي والعربي والاسلامي وقد يكون هو من بين شعراء المدرسة الحديثة في الشعر المعاصر اكبر الشعراء تأثرا بحافظ في خياله وصياغته وفي منهجه الشعري في القصيدة .

والماحي شاعر عالي المنزلة بين شعراء طبقته ، هذه الطبقة التي ورثت طبع البحتري ، وعذوبة مهيار ، ورقة البهاء ، وبلاغة البارودي ، وشاعرية شوقي وحافظ وهي طبقة ورثت مجد الشعر العربي بعد البارودي وشوقي ، ويكاد ينفرد تأثير الشعر في المجتمع المصري والعربي الحديث عليها وحدها من بين من عداها من الشعراء المعاصرين ، المعنين في التجديد والتطور ، مما جعل شعرهم بعيدا عن الف الناس واذواقهم .

ويمتاز شعر الماحي بأصالة الطبع ، وصفاء الروح ومن شعراء طبقته : محمد الاسمر ، ومحمود غنيم ، وعلي الجندي ، وعامر بحيري ، ومحمد عبد الغني حسن ، وسواهم .

وفي شعره — كما يقول عبدالله عفيفي — نجد صولة الحب ، وثورة العاطفة ، ويقظة الشاعرية ، وكان ينظم في الاجتماع والشكوى والوصف والرثاء والعتاب كما يقول محمود عماد ، الى نزعته في الحرية ، وايثاره للحكمة ، كما يقول الشاعر علي شوقي ، وينوه عمر الدسوقي بموهبته وصدق عاطفته ، والصيرفي بصدقه الفني .

ويذكر عبدالله عفيفي ان الماحي شاعر مصري اصيل ، يصل ما بينه وبين اسلافه بسبب متين ، وقد الهمته فطرته وروحه المصرية ذلك القول المستفيض من حديث الاخاء والاخوان .. وأروع ما تلقاه من شعره — كما يرى الشاعر محمد الاسمر — هو ما نظمه في الحب .

ويتسم شعره — كما يرى الشاعر الكبير عزيز اباظة — بطابع اصيل من الروعة المشرقة الجذابة ، سواء في التعابير التي ابرزها الشاعر من خلال احاسيسه او البناء الفني الذي افرغ في اقامته ما يملك من مواهب وملكات ، الى شفافية روحه ، وصراحة صياغته ، فحياته الانسانية وحياته الفنية لا اختلاف بينهما ، وتلك احدى الميزات التي لم يحظ بها الا القلائل من الشعراء ، ومن ثم رأينا شعره مرآة صافية لنفسه .

وكتب ابو شادي عنه في مجلة ابولو عام ١٩٣٤ يقول : للماحي ديباجة صافية ذات روح حلوة لا يحس فيها القارىء بعدا من شخصية صاحبها اذا عرفه ، واسلوبه غنائي له جرس بديع ، تجري حلاوة موسيقاه ورقتها من ينابيع شعر البحتري وابن زيدون وشوقي .

ولنشأة الماحي في دمياط ، وتأثره بشعرائها ، ومن بينهم الشاعر المطبوع علي العزبي ، اثر كبير في شعره وشاعريته ، وكانت دمياط بمدرستها المتبولية مركزا من مراكز الثقافة والشعر في مصر في اوائل القرن العشرين ، وقد ادرك الشاعر عصر ازدهار هذه المدرسة وشعرائها الكبار ، من امثال : علي الغاياتي ، وعلي العزبي ، وعبد اللطيف النشار ، وسواهم .

ثم كان لقراءاته الواسعة وثقافته الادبية الكبيرة ولتجاربه في الحياة ، وحياته في صميم زحامها ، اثر في شعره وشاعريته . ولقد تلقفته بيئة الادب والشعر في وزارة الاوقاف ، واثرت في طبعه الشعري تأثيرا كبيرا ، وكان من اعلامها محمد المويلحي صاحب « حديث عيسى بن هشام » ، وعبد العزيز البشري ، واحمد الكاشف ، وعبد الحليم المصري ، وعباس محمود العقاد ، ومحمود عماد ، وكامل كيلاني ، وعلي شوقي .

وكذلك اتصل عن قرب بشتى المدارس الفكرية ، وعاصر مختلف المدارس الادبية والشعرية ، وتأثر بها ، واحتذاها في شعره ، واخذ عنها ، من مدرسة الفحول من الادباء والشعراء ، من امثال : المويلحي والبشري والرافعي والكاشف والغاياتي ، الى مدرسة المجددين من امثال : مطران والعقاد وطه حسين والمازني وابي شادي . ومن الكلاسيكيين الى الرومانسيين ، وكان كالنحلة الدائبة الحركة ، تجمع الرحيق من شتى الازاهير ، وتحيله غذاء شهيا لذيذا . ومن ثم وجدناه من اعضاء جماعة رابطة الادب الجديد (١٩٢٩ — ١٩٣٢) ، فجماعة ابولو التي قامت عام ١٩٣٢ ، فجامعة ادباء العروبة ، فرابطة الادباء (١٩٤٥ — ١٩٥٣) ، فرابطة الادب الحديث (١٩٥٣ حتى اليوم) ، واختير عضوا في لجنة الشعر في المجلس الاعلى للفنون والآداب ، وعمل مقررا لهذه اللجنة حتى وفاته ، وكانت فترة عمله فيها من اخصب الفترات في حياة هذه اللجنة .

ومن ميلاد الشاعر في دمياط في الرابع والعشرين من سبتمبر عام ١٨٩٥ ، الى التحاقه بوظيفة في وزارة الاوقاف عـام ١٩١١ ، الـى تركه للوظيفة والوظائف عام ١٩٥٥ بعد ان وصل الى درجة مراقب عام للوزارة ، الى وفاته في السابع من نوفمبر عام ١٩٧٦ ، توالت اجيال واحداث كثيرة في تاريخ مصر ، وتغيرت امور وشؤون ، وقامت ثورات وحركات سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية وادبية وشعرية ضخمة ، وفي كل هذه التطورات كان الشاعر يشارك امته آلامها وآمالها ، ويحدو للقافلة في مسيرتها حداء الوطنية والحرية والدعوة الى النضال والصمود .

ومصرية الماحي ، او قل روحه المصرية الاصيلة ، هي احدى خصائص شعره ، وقد اشار الى ذلك كثير ممن كتبوا عنه ، من امثال عبدالله عفيفي ، وطاهر الطناحي ومحمد عبد القادر حمزة ، وعمر الدسوقي ، وغيرهم . وتتجلى هذ ه‌الظاهرة في الفاظ الشاعر واسلوبه ومعانيه واغراضه واخيلته ، وفي دعاباته بوجه خاص .

وعندما تقرأ شعره تشعر انك تعيش في صميم زحام الحياة المصرية ، وتستمع لشاعر من صميم الشعب ، يعبر عن روح الجماهير وآلامهم وآمالهم ، في بساطة ووداعة وهدوء ، مما لا يتوفر لكثير من الشعراء ، ومما يستحق من اجله ان يسمى شاعر الشعب ، كما كان البهاء زهير مثلا في القرن السابع الهجري ، ونرى مظهر ذلك عند الماحي في قصيدته (اخوان كل زمان) ، ومن اجل ذلك يجيء شعره صافيا هادئا سلسا ، كالماء الجاري ، حتى لا تكاد تشعر بفارق كبير بين شعره ونثره ، وتلك سمة المطبوعين من الشعـــراء .

وما اكثر ما عبر الشاعر عن روح مصر في وطنياته ، لان مصر كانت دائما في خلده وفكره كما يقول :

لـك يـا مصر خاطري وجناني	ان تمنيت كنت اغلى الاماني
أنت رمز الخلود في كـل عصر	أنت مـن كنت معقل الشجعان
يـوم تمضين لا يجاريك شعب	او يباريـك في الحضارة ثـان

ويعتـقـد الناقد الكبير مصطفى السحرتي بقصيـدة الشاعر « ذكريات الشاطىء » ، ويرى انها جمعت زبدة فنه : غزارة عاطفة ، وسيولة موسيقى ، ومثلها قصيدته « فرعون يعاتب ابناءه » ، وقصة « احمس الاول » .

وفي رأيي ان قصيدته « عودة شاعر » التي نظمها بعد ان انطلق من اسر الوظيفة ، ونعم بالانطلاق والحرية ، واستقبل حياة جديدة ، تمثل الجانب الفني في شعر الماحي خير تمثيل ، وفي مطلعها يقول الشاعر :

هـل آن للبلبل الصداح تغريد	أم حان للنغم المكبوت ترديد ؟
واحسرتاه ، تقضى العمر أطيبه	يذوبـه همان : تنكيد وتسهيد
لا أكذب الله قد ضاع الزمان سدى	كما استوى حاسد فيه ومحسود

فهذه القصيدة القوية الثائرة المشبوبة العاطفة ، المحكمة النسج ، تمثل شاعرا لا يقل في منزلته عن اعلام الشعر العربي القديم ، ولا ينزل عن مستوى المجودين المجددين من الشعراء المعاصرين ، وحسبنا منها طلاقتها واصالة الموهبة وقوة نبض الحياة في بنائها ، وتصويرها البديع لوجدان الشاعر ولاعماق نفسه وروحه .

وشعر الماحي صلة بين القديم والحديث ، كما يقول الشاعر عادل الغضبان ، ويؤكد ذلك كل النقاد والشعراء الاصلاء ، ومن بينهم : محمود عماد الذي يقول ان شعره وسط بين القديم والجديد ، كما يؤكده آخرون يرون ان الماحي استطاع ان يجمع بين القديم والحديث وان يوفق بينهما ، ويمزج بين عناصرهما .

وشعـر الماحـي الغنائـي والوطنـي والاسلامي والاجتماعي ومراثيه ، وشعره الذاتي ، كل ذلك مظهر كبير لشاعرية اكبر .

وديوان الماحي طبعه ثلاث طبعات انيقة واحتوت الطبعة الاخيرة منها على دراسات نقدية لشعره وشاعريته. ثم صدر بعد وفاته كتاب في جزءين عن رابطة الادب الحديث بعنوان « الماحي الشاعر » ويحتوي على دراسات ادبية ونقدية معاصرة لاعلام الادب والنقد والشعر في مصر والعالم العربي عن الشاعر وشعره . وفي كتاب « خمسة من شعراء الوطنية في مصر — الجزء الاول » ترجمة للشاعر عبد الحليم المصري بقلم شاعرنا الكبير الماحي — تعد من اجمل الترجمات وادقها لسيرة شاعر .

وسوف يصدر عن المجلس الاعلى للفنون والآداب في القاهرة الجزء الاول من موسوعة « شعراء مصر » ، وهو بقلم الماحي وكاتب هذه المقالة .

وبعد فان الشاعر الماحي حري بـأن تذكره مصر والعروبة شاعرا من أبر شعرائها بها ، ومن اكثرهم حبا لتقدمها ونهضتها ، وخليق بأن يذكره الشعر العربي الحديث شاعرا غنى للحرية وللحياة وللانسان .

القاهرة — محمد عبد المنعم خفاجي

ابو سعيد السيرافي ومنزلته العلمية

بقلم الدكتور محمد علي الريح هاشم

* * *

ولد ابو سعيد بن عبدالله المرزبان السيرافي قبل سنة ٢٩٠ هـ ٩٠٢ م في بلدة سيراف بفارس . وسيراف كما يقول ياقوت « بليد على ساحل البحر من ارض فارس رأيته انا وبه اثر عمارة وجامع حسن الا انه الآن الغالب عليه الخراب » وقد بدأ ابو سعيد تلقي العلم ببلدته سيراف في سن لا نعرف عنه شيئا . وكان ابوه مولى فارسيا مجوسيا اسمه بهزاد فسماه ولده ابو سعيد عبدالله . وقد رحل ابو سعيد من سيراف الى عمان قبل ان يبلغ العشرين ودرس فيها الفقه ، ثم رجع الى سيراف ومنها ارتحل الى عسكر مكرم حيث التقى فيها بمحمد بن عمر الصيمري المتكلم .

درس ابو سعيد النحو على ابي بكر مبرمان ورحل الى بغداد فنال حظا وافرا من المعرفة اذ قد درس فيها اللغة على ابن دريد واخذ علوم القرآن والقراءات على ابي بكر ابن مجاهد والنحو عن ابي بكر بن الزجاج(١) .

وقد تتلمذ على ابي سعيد نفر من الفضلاء منهم استاذه ابن السراج زمبرمان فقد اخذ عنه القرآن والحساب . وابو محمد بن معروف قاضي قضاة بغداد الذي درس عليه النحو وأنابه عنه في الفتيا في الجانبين الشرقي والغربي من بغداد ، وذلك اعترافا منه لما لأبي سعيد من طول باع وسعة اطلاع في الفقه والفرائض ومن تلامذته ايضا ابو حيان التوحيدي الذي قال عن شيخه :

« ابو سعيد السيرافي شيخ الشيوخ وامام الائمة معرفة بالنحو والفقه واللغة والشرح والعروض والقوافي والقرآن والفرائض والحديث والكلام والحساب والهندسة أفتى في جامع الرصافة خمسين سنة على مذهب ابي حنيفة فما وجد له خطأ ولا عثر على زلة وقضى ببغداد . هذا مع الثقة والديانة والامانة والرزانة . صام اربعين سنة او اكثر الدهر كله وقال في محاضرات العلماء شيخ الدهر وقريع العصر العديم المثل المفقود الشكل ، ما رايته واحفظ منه لجوامع الزهد نظما ونثرا ، وكان دينا ورعا نقيا تقيا وزاهدا عابدا خاشعا ، له دأب بالنهار من القرآن والخشوع وورد بالليل من القيام والخضوع ما قرأ عليه شيء قط منه ذكر الموت والبعث ونحوه الا بكى وجزع ونغص عليه يومه وليلته وامتنع من الاكل والشرب وما رايت احدا من المشايخ كان أذكر بحال الشباب واكثر تأسفا على ذهابه منه وكان اذا راى احدا من اقرانه عاجله الشيب تسلى به »(٢) .

وكان ابو سعيد الى جانب علمه وفضله وادبه متقشفا يأكل من كسب يده فكان لا يخرج الى مجلس العلم او القضاء او الفتيا حتى ينسخ عشر ورقات بعشرة دراهم تكون بقدر مؤنته ، وكان حسن الحظ بالرغم من انه كتب اليه ملوك عدة كتبا مصدرة بتعظيمه تسأله فيها عن مسائل في الفقه والعربية واللغة ، وبالرغم من انه طلب اليه ان يقرر في ديوان الانشاء فامتنع وقال « هذا امر يحتاج الى دربة وأنا عار فيها ، وسياسة وأنا غريب فيها ولم يأخذ على القضاء والحكم اجرا » .

وقد تتلمذ على ابي سعيد ايضا ولده ابو محمد يوسف ابن ابي سعيد السيرافي صاحب شرح ابيات سيبويه . وقد كان بين ابي سعيد وابي الفرج الاصفهاني ، ما يكون عادة بين افاضل العلماء من منافسة . وقال فيه ابو الفرج :

« لست صدرا ولا قرات على صدر ولا علمك البكى بشاف لعن الله كل شعر ونحو وعروض يجيء من سيراف » . ولقد عاش ابو سعيد حياة حافلة بالعلم والعمل يؤلف ويدرس ويقضي ويفتي ويناظر الى ان مات رحمه الله في خلافة الطائع يوم الاثنين ثاني رجب سنة ثمانية وستين وثلاثمائة الموافق الثالث من فبراير ٩٧٩ م » .

مؤلفاته : لأبي سعيد السيرافي من المؤلفات ما يلي :

١ — اخبار النحويين البصريين ، حققه ف. كرنكو ونشر بالجزائر عام ١٩٣٦

٢ — كتاب اسماء جبال تهامة واماكنها ، حققه عبد السلام هرون ونشرته لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة سنة ١٩٥٦

٣ — شرح الدريديه .

٤ — المدخل الى كتاب سيبويه .

٥ — الوقف والابتداء .

٦ — صفة الشعر والبلاغة .

وهذه الكتب الاربعة الاخيرة ذكرها السيوطي في البغية(٣) ولا ادري ان كانت موجودة ام مفقودة .

٧ — جزيرة العرب ذكره ياقوت في الارشاد .

٨ — كتاب الاقناع في النحو ذكرته كتب التراجم التي كتبت عن ابي سعيد وذكروا له انه مات قبل اكماله فأكمله ولده يوسف وكان يقول : وضع ابي النحو في المزابل بالاقناع يعني سهله . وذكر المعري ان ابا سعيد كتب في الاقناع حتى باب التصغير(٤) .

على ان اهم مؤلفاته على الاطلاق هي كتابه شرح كتاب سيبويه وهو على مبلغ علمي لا يزال مخطوطا الا شذرات منه طبعت بهامش كتاب سيبويه طبعة بولاق . ولهذا الكتاب الجليل مخطوطات عدة ذكرها بروكلمان والى جانب ما ذكره بروكلمان توجد مخطوطة لهذا الكتاب بمكتبة شيخ الاسلام عارف حكمت بالمدينة المنورة ذكر ناسخها انه اخذها من نسخة المؤلف بخطه(٥) .

هذا وتبلغ صفحات شرح الكتاب للسيرافي ستين وستمائة وثلاثة آلاف صفحة في مخطوطة دار الكتب المصرية رقم نحو ١٣٦ . وهو في ثلاثة مجلدات .

وقد شفع ابو سعيد شرحه الكتاب ببابين في آخر شرحه اضافهما بعد الفراغ من الكتاب . الباب الاول سماه ابو سعيد « هذا باب افردته بعد الفراغ من ادغام كتاب سيبويه وتفسيره لذكر ما ذكره الكوفيون من الادغام » ، والباب الثاني سماه « هذا باب في ادغام القراء » .

ويستهل ابو سعيد شرحه للكتاب بقوله :

« بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين قال ابو سعيد ، قال سيبويه : هذا باب علم ما الكلم من العربية هذا موضوع كتابه الذي نقله عنـــه اصحابه رضي الله عنه ... الخ » .

وينهي كتابه شرح كتاب سيبويه بقوله :

« تم الكتاب والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا » .

هذا ولقد استرعى شرح ابي سعيد لباب مخارج الحروف في كتـــاب سيبويه انتبـــاه المستشرق الفرنسي ج. تروبو فكتب مقالا في المجلة الفرنسية « عربية » وهذا الباب في كتاب سيبويه هو الباب الخامس والستون بعد الخمسمائة في الكتاب بطبعة باريس وهي الطبعة التـــي اعتمد عليها المستشرق تروبو .

ويذهب المستشرق تروبو في مقالته الى الآتي :

اولا : ابن يعيش في شرح المفصل « والاستراباذي في شرح شافيه ابن الحاجب » قد نقلا كثيرا من شرح السيرافي لهذا الباب دون الاشارة اليه .

ثانيا : ان مخطوطة كتاب سيبويه التـــي استغلها السيرافي في شرحه هي مخطوطة قديمة من اوائل مخطوطات الكتاب ومن هنا تأتي اهميتها في المقابلة مع المخطوطات التي اعتمدت عليها طبعات الكتاب .

ثالثا : لا تقع اهمية شرح السيرافي في شرحه للكتاب وتقريب فهمه فحسب بل تتعدى ذلك الى فوائد هي نظريات في الصوتيات اشترعها غير سيبويه من النحويين اذ ان شرح السيرافي لا يحفظ لنا نسخة قديمة لقطعة من كتاب العين فحسب ، بـــل يحفظ لنـــا قطعة لكتاب الفراء في الصوتيات يبدو انه غير معروف عند غير السيرافي هذه القطعة من كتاب الفراء المفقود . توضح لنا مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين في مجال الاصوات وتوضح لنا مسائل الخلاف بين سيبويه والفراء نفسه في مخارج بعض الحروف كالهمزة والالف والواو والياء .

رابعا : يذهب تروبو الى ان الاهمية الاساسية لشرح السيرافي لذلك الباب تقع في ان السيرافي هو اول من الح الى ان الحركات هي ابعاض حروف المد الشيء الذي لم يذكره سيبويه اطلاقا ، وقد اخذ ابن جني في « سر صناعة الاعراب » هذه النظرية وطورها .

هذا اهم ما ورد في مقالة المستشرق تروبو . وقد لخصته التماس الايجاز وانت ايها القارىء الكريم ترى ان المستشرق تروبو بجهله لكتاب سيبويه قد اجحف بامام النحاة أيما اجحاف حينما زعم ان سيبويه لم يذكر قط في كتابه ان الحركات ابعاض الحروف . فتأمل واليك هـــذه النصوص من كتاب سيبويه وهي تدحض زعم المستشرق تروبو وقد وقعت الي اثناء مطالعاتي في « الكتاب » دون تعمل مني الى استقصاء هذه القضية .

يقول سيبويه رحمه الله :

« وزعم الخليل ان الفتحة والكسرة والضم زوائد ، وهن يلحقن الحرف ليتوصل الى التكلم به والبناء هو الساكن الذي لا زيادة فيه . فالفتحة من الالف والكسرة من الياء والضمة من الواو فكل واحد شيء مما ذكرت لك »(٦) .

ويقول : « فالياء والالف في كثرة دخولها زائدة وفي ان احدى الحركات منها »(٧) .

ويقول : « فأبدلوا هذه الحروف التي منها الحركات لانها اخوات وهي امهات البدل والزوائد وليس حرف يخلو منها او من بعضها . وبعضها حركاتها »(٨) .

وبعد ايها القارىء الكريم ذلكم هو ابو سعيد السيرافي وتلك مهي منزلته العلمية رحمه الله رحمة واسعة .

---

(١) — معجم الادباء ١٤٥/٨ مطبوعات دار المامون .

(٢) — بغية الوعاة للسيوطي ص ٢٢١ — ٢٢٢ الطبعة الاولى ، مطبعة السعادة ١٣٢٦ هـ .

(٣) — معجم الادباء ١٤٢/٨ وما بعدها مطبوعات دار المامون .

(٤) — رسالة الغفران ص ٤١٦

(٥) — C. BROCKELMAN SUPP., 1, 160

مكتبة شيخ الاسلام ومخطوطاتها مقالة بقلم عبدالله عسيلان ، مجلة العرب عدد ديسمبر ١٩٦٨ ص ٢٥٣

(٦) — الكتاب ، بولاق ٣١٥/٢

(٧) — الكتاب ، بولاق ٣٤٦/٢

(٨) — الكتاب ، بولاق ١٦٥/٢

القاهرة — محمد علي الريح هاشم

قصائد من رومانيا

ترجمها عن الفرنسية

سليمان عواد

* * *

للشاعر الكسندرو ماتشيدونسكي

*

ادوارية الرحيل

اباشر رحلة
ارغب كثيرا في تحقيقها
هل هذا جنون
هل هذا حكمة ؟
رحلة بين الاقوام البعيدة ..
مضى الصيف بطريقته الخاصة
والزهرة تذبل في النفس .
اباشر رحلة
ارغب كثيرا في تحقيقها
نقاط مضيئة بغزارة تثني على حياتي
اجنحتي تنطلق في سرعة عظيمة ، دون اذى ..
اباشر رحلة

ادوارية الورد الذي يموت

هذا زمن الورد الذي يموت في نفسي
مثلما يموت في البساتين .
كان حياة وعطرا
واليوم ، لا شيء يدعو الى الاستقرار .
في كل انسان ارتعاش يزهر ، وكآبة ..
هذا زمن الورد الذي يموت
في نفسي
مثلما يموت في البساتين .
يخيفنا الغسق بتنهداته واحزانه
وعند مجيء الليل الكبير
يحني الورد جباهه على الساعة ...
هذا زمن الورد الذي يموت .

للشاعر جيو بوغزا

*

ذئب البحر ــ ١ ــ

تحت نظراتي ، بحار العالم تجري
تقطع عشرين عقدة دون نهاية دون راحة ..
تحت شعاع الشمس وضوء القمر
تقطع بلا توقف ، فهودا خضراء
وأنا ، منارات الشاطىء الاكثر شحوبا
احب من المحيط اندفاعه الجنوني
لدرجة ، اشعر معها
بأن على كتفي المغمورة بالملح النقي
يستقر العالم ،
كما لو انه قائمة نمر صديقة .

ذئب البحر ــ ٣ ــ

اتأمل هذه المياه ، وهي تجري متمهلة
على صدر سفينتي ، والهواء ، يبدو خفيفا
للصواري التي اجتازت الكثير من العواصف .
اواه .. لم افكر بالابحار في المستنقعات
بعد معرفتي للاعاصير
ولا الكفاح ضد البعوض
بعد ان اراحوا ، على كتفي
طيور البحر الكبيرة .
لقد تركت الصواري عارية من كل الاشرعة
لقد اهديتها الى بغايا المرفأ
ليجعلن منها تنانير
لكونها غير ضرورية لرحلاتي البحرية
تحت ضوء النجمة القطبية ...
عودي الى ذاتك ، ايتها الباخرة القديمة
فلن آخذك ابدا الى المستنقعات الموحلة ، كلا
فأنا لا اصطاد طعامي ابدا
من السمك المهمل ، قبل ان اقضي
على وحوش المحيط ! ...

للشاعرة نينا كاسيان

*

لنقدم لبعضنا الهدايا

علينا ان نقدم الهدايا .. ونحفظها باعتناء
تاريخ ولادتنا ، وتواريخ الآخرين .
ومن يريد الاحتفال بالعيد منذ الصباح

عليه ان يتقبل من اصدقائه
ربطة عنق مفضضة ، لتصقل ايديهم
برتقالة تمنح الطراوة لابتساماتهم
بعض الآراء لتكمل شكل قلوبهم ..
واذا غدا ، احد منا ، عاشقا
فلنعطه صورة عن الوقت
واذا كان مريضا بالحب فلنعطه
ان يشرب من الشباب ، ومن الكرامة
في قدح نظيف ، رسمت فوقه زهرة ...
وهناك من يقفون ضدنا :
بخيلاء ، وفي عزلة شديدة
لئلا يتوجب عليهم شيء حيالنا
(كما لو انهم ، لم يكونوا مدينين لنا
بأي وجه ، من اوجه الفعل ، وكأننا
لم نستنشق الهواء ونعيش الى
جانبهم ، مقتسمين معا قدرنا الوحيد
في هذا العالم) .
هؤلاء ، علينا الا نخمد همتهم
وعلينا ان نجتاز كبرياءهم وعزلتهم
بأيدينا المليئة بالهدايا ، والحقائق القاسية
وبأشياء اكثر حلاوة ، مثلا :
حمار وحشي مخطط ... من البلاستيك
قياس موسيقا الفالس ... عاكس النور

سعر بيع مجلة الاديب :

العراق	٣٠٠ فلس
الكويت	٤٠٠ فلس
ابو ظبي	٥ دراهم
دبـي	٥ دراهم
قطـر	٥ ريالات
البحرين	٥٠٠ فلس
الاردن	٣٠٠ فلس
السعودية	٥ ريالات
اليمـن	٥ ريالات
عـدن	٥٠٠ فلس
مصـر	٣٠٠ مليم
ليبيـا	٤٠٠ درهم
تونس	٤٠٠ مليم
المغرب	٥ دراهم

واذا انتهى كل شيء الى الافضل
فلنقدم مرآة نغمس فيها وجهنا جميعا
ونمنحه اتساع البحر ...

للشاعر فيرجيل تيودورسكو

❋

دائــرة

الكرة ، قال عنها علامة يوناني
هي الشكل الكامل للهندسة .
الانسان ــ الاجمل والانبل ،
من جميع كائنات هذا العالم الرحب ــ
جدير بأن يسكن الشكل الانقى والارفع للهندسة .
ها هي اذن ، الارض ، هي دائرة
وها هي بلادي ، اذن ، دائرة ! ..
في تعرجات الماء الشفافة
برار ، طيور ، رجال ، اشياء محسوسة
اكتشافات ، افعال ، انعكاسات حلوة في الهواء الناعم ...
قباب ، اقواس ، ينابيع شيقة
اطفال ذوو حيوية ، شياطين ..
وكهول ... يشبهون أشجارا مزهرة
اغنية قديمة ، اغنية ــ رحمية
محفورة في حزة الآلات ،
عيدان قصب ترن في بستان ...
وحكمة متزنة ــ قياس للجميع ولكل واحد
حكمة صحيحة لبلادي
في مجازفة للدائرة المنطلقة ...

لقد عرفت ...

الحالمون ، الذين عرفتهم كانوا جميعا صائبين
ودائما كانوا في مواعيدهم صادقين .
مثل النجوم التي تعودنا عليها ...
انهم لا يحلمون في بساتين برتقال
حيث يقضون نزهاتهم دون غم
ومن ايديهم المحمومة
فتشوا في الحقيقة ... عن نقطة الارتكاز
من اجل تغيير العالم وتشكيله من جديد ...
البعض منهم مات ، مغمورا في الهاوية
رؤاهم كلفتهم الحياة
والآخرون ما زالوا هناك ــ
لكن ، ليس للبكاء عليهم
انهم يريدون من حلمهم
ان يوجدوا الحقيقة ...

دمشق **سليمان عواد**



علي المصري

المســرحيـة

بقلم علي المصري

***

المسرحية قصة تمثيلية ، يقوم بعرضها على خشبة المسرح ممثلون يعتمدون في أداء أدوارهم على الحوار والحركة ، ضمن مدة محدودة قد تبلغ ثلاث ساعات ، فهي والحالة هذه لا تخرج عن كونها نصا ادبيا ، الا انه يصب في حوار ، ويقسم الى مشاهد ، ترسم قصة ما يحكيها ممثلون بلغة فصيحة على جمهور من الناس ، في وقت معلوم ، وضمن اطار فني من ضوء وحركة وانغام ، على مكان معين .

ونستطيع ان نعرف المسرحية بأنها قصة تعالج فكرة معينة ، ويحمل عبء العبارة عن هذه الفكرة الممثلون ، بما يقومون به من حركات على خشبة المسرح ، ومن حوار متبادل فيما بينهم .

فطابع المسرحية المميز لها عن سائر ضروب الادب الاخرى ، انها ادب يراد به التمثيل ، والتمثيل فن متعدد العناصر ، الممثلون ، والملابس ، والمناظر ، والصوت ، والاضاءة ، والمسرح ، والنظارة .

فكل هذه عناصر تتكون منمجموعها الخامة التي تتألف منها المسرحية . والمسرحية الجيدة هي التي تتضافر فيها هذه العناصر كلها في اتساق وانسجام . والفنان البارع هو الذي ارهف حسه لعناصر فنه بحيث يدرك من فوره كيف يستغل هذه العناصر الى اقصى مداها . ولا بد للمسرحية من زمن معين محدد يتسع للتعبير عن الحدث الذي تبنى عليه المسرحية ، ومراعاة الهدف الذي من اجله قامت المسرحية ، فيختار الكاتب من الافعال الانسانية التي يراد تمثيلها افضلها واكثرها قدرة علـى اثارة الدهشة والعجب في نفوس المشاهدين ، وليس من الضروري تصوير احداث الحياة بكل دقائقها وتفاصيلها واجزائها المعقدة ، بل يكتفي بالايماء والاشارة لاستثارة حماس النظارة في تحريك الحدث وفك رموزه والمشاركة في الحل ، على ان لا يتم ذلك على حساب عنصر آخر من عناصر المسرحية الفنيــة .

وعليه ان يحسن رسم شخوص مسرحيته ، لان الذيــن سيقومون بتمثيلها بشر ، سيكونون في احسن حالاتهم ممثلين فعلا انسانيا مما يأتيه بنو جنسهم من البشر . وبالتالي كانت ثمة افعال انسانية هي مجال المسرحية ، لذا كان عليها ان تتجنب الخوارق التي تقتضي طبيعة غير طبيعية . فالفعل الانساني اذا هو مجال المسرحية ، لكنه الفعل الانساني ممثلا وظاهرا في سلوك مرئي مشهود معرض للنقد من المشاهدين فالممثل لا يقف وحده فردا قائما بذاته على خشبة المسرح انما يقف في وسط حي تمور فيه الحياة بكل خصبها وحيويتها ، ويحيط به جماعة مــن الناس ، ويعبر عن نفسه في عالم مأهول ، فيكون لفعله رد فعل في سواه ، او يفعل سواه فيكون لفعلهم رد فعل فيه .

ولهذا كانت المسرحية الكاملة هي التي تضع شبكة الافعال وردود الافعال في صورة طبيعية تتفق مع جماعة انسانية . فالمسرحية اذا تمثل الفعل الانساني من جانبه الاجتماعي ، لا من جانبه الفردي ، وهذه الصفة الاجتماعية للمسرحية هي التي تفسر لنا كيف ان المسرحية الحديثة لا تكتفي بتخصيص شطر من مجالها للنشاط الاجتماعي ، وانما تغالي احيانا فتجعل نفسها ميدانا للبحث الاجتماعي وعرض نظريات على الاجتماع . ونستطيع تبعا لذلك ان نجمع العلائق التي تصل بين الناس تحت نوعين رئيسيين : اما علاقة محبة وائتلاف واما علاقة نفور واختلاف .

وللمسرحية ان تختار ما شاءت من النوعين . ولكنها توشك الا تختار الا نوعا واحدا ، هو ذلك الذي يعتوره النفور ويسوده الاختلاف ، لـمـا فيه من اثارة للدهشة واستجلاب للانتباه . مما لا شك فيه ان معركة بين رجلين تجذب العين اكثر مما يجذبها تصافحهما في ود وصفاء ، ومن اجل ذلك كان موضوع المسرحية المفضل ، افعال الفرد التي تتصل بأفعال الآخرين ، ومن هنا كان الدور الرئيسي في المسرحية يعطى لشخص ندعوه البطل ، لانه الشخصية الذي تتمحور حوله المسرحية ، لـذا ينصرف المؤلف بأكثر عنايته الى هذا البطل ، الذي لا بد له ان

يصطرع ويختصم مع غيره من شخوص المسرحية ، وربما في معارك بينه وبين الجماعة ، او بينه وبين تقاليد المجتمع وعقائده ، وقد ينتقل الصراع من الدنيا الخارجية الى العالم الداخلي الى دخيلة نفس البطل وعقائده وقيمه فيصبح موضوع الرواية صراعا بين البطل ونفسه ، وصداما بين نوازعه المختلفة ودوافعه المتعارضة ، كأن تكون بين واجبه الوطني مثلا وولائه لانتماءاته الاخرى ، او بين نداء العقل ونداء القلب ، وهكذا نرى البطل وكأنما تمزقه النوازع المختلفة والدوافع المتعارضة تمزيقا ممضا مؤلما .

انواع المسرحية

موضوع المسرحية هو حياة الناس بأسرها ، فقد يكون اجتماعيا او تاريخيا او وطنيا او قوميا او سياسيا ، او فكريا ، ويكون هو الطابع الغالب للمسرحية ، وقد يوجد الى جانب الموضوع الرئيسي موضوع ثانوي او اكثر ، يعالجه المؤلف بقدر ما تقتضيه الضرورات الفنية والقدرات الابداعية فيه . ويصور الضحك والمبكي من الحوادث ، ويصف الخامل والنابه من الناس .

١ — فاذا كان العمل الذي تمثله المسرحية جديا ، والاشخاص الذين تصورهم من الطبقة العالية ، وتدور حول الموضوعات الجليلة ، وتمثل جانب الشدة والبلاء في حياة الناس ، وتنتهي بالفواجع فهي المأساة .

٢ — واذا كان العمل هزليا منتزعا من حياة الناس عامة مصورا لعيوبهم ، متناولا عاداتهم وسلوكهم وطبائعهم ومثالبهم في جو من السخر والهزل ، سميت المسرحية ملهاة .

٣ — اما اذا جمع العمل بين الجد والهزل ، سمي بالمأساة الحديثة او الدراما ، وهي من الانواع الطارئة في الفن المسرحي لانها تخلط المأساة بالملهاة ، وتقبل كل نمط من الاشخاص والاخلاق وتصور دقائق الحياة واوضاعها ، وتتعقد حوادثها ويتداخل الجد بالهزل .

٤ — واما اذا كانت المسرحية شعرية تخلو من الحوار العادي ، ولا تظهر الا بالغناء والانشاد ، ويصاحبها الرقص في الاغلب ، فهي المسرحية الغنائية الاوبرا .

المأساة ... تراجيدي

وهي مسرحية تقوم بتمثيل امر عظيم يبعث في النفوس الرعب والرحمة والاعجاب ، وليس ضروريا ان تسفك الدماء وتنتشر الاشلاء على خشبة المسرح لتحدث تلك الاثارة . بل يكتفى بالموضوع الجدي الجليل . وتمثيل جانب البلاء والشدة في عمل مسرحي يكون جليلا ، والشخص نبيلا ، والهوى المتحكم رفيعا ، حتى ينشأ ذلك الحزن الرهيب الذي يجدر بالمأساة ان ترتفع اليه . ومعنى ذلك ان يكون العمل المسرحي خطيرا ، كارجاع ملك مخلوع ، او اعادة حق مغتصب ، او حول عمل عظيم مفزع يستدر الرحمة والاعجاب معا ، وكما اسلفنا فقد يمثل على المسرح سفك الدماء زيادة في الارهاب ، كما قد يكتفى بتمثيل الاهواء انتزاعا للاعجاب فالعمل في المأساة جليل ، والموضوع قد يقتبس من الماضي ، والهدف يرمي الى اظهار العنف في الطمع او الحب او الانتقام وقد تنتهي المأساة بالفواجع كما كانت اصلا من قبل ، ولكنهم راوا امكان انتهائها بما يبعث الرهبة او الرحمة او السرور والانشراح ، لان لهذه الصفات وقعا آسرا في القلوب ، وتأثيرا في النفوس ، وخاصة اذا تدرج التصوير والتمثيل شيئا فشيئا حتى ينتهي الى الرهبة او الرحمة .

والغاية من المأساة اصلاح النفس البشرية وتزويدها بفضائل العادات وترهيبها من سيىء العواقب ، عن طريق تمثيل الاجرام والصراع والنوائب والدموع والآلام ، وقبول الجمهور رؤية آلام الناس يعود الى التأثر بالتمثيل الذي يتقن التقليد . كما تحمل المأساة الى شعور الانسان الراحة والنجاة مما يعانيه المبتلون ، واقتباسه الحكمة والدروس النافعة على حساب الآخرين الذين يشاهدهم على المسرح امامه ، وتمثيل الحقيقة الواقعية ، لان في الحقيقة نفسها جمالا لا يدانيه جمال ، كالصورة التي ابدعها المصور لعجوز ليس على وجهها مسحة من جمال . على ان في غريزة المرء كما نرى في الاطفال ايضا ميلا الى امتاع العواطف والقوى الجسمية والنفسية بمشاهدة العنف والقسوة والخوارق ، كأنما هي تمرين لتلك القوى التي تتكون منها حقيقة الانسان .

فموضوع المأساة اذا بلاء يبتلى به فريق من الخلق وتدور من حوله المصائب وتنزل به النكبات ، وكان القدماء من الاغريق يرون ان ذلك البلاء خارج عن ارادة الانسان ، بمعنى ان الاقدار ، او الآلهة على زعمهم ، هي التي تلاحق المعذب المسكين وتحاسبه على اخطائه فتنزل به الآلام . ولكن ما بال البريء يقع في مثل بلاء المسيء ، انهم يرون ان هناك سببا نشأ عن غفلة او ضعف او ميل ، وان القضاء او غضب الآلهة قد لحق به . وفي ذلك يقول سنيك :

ان الاقدار تقود ذوي الارادة ولكنها تجر فاقديها .

ولا ريب في ان تمثيل الاحداث الناشئة عن الاقدار كبير التأثير في النفس وعميق التوغل في حناياها .

ولكن ارجاع ذلك الى الاقدار وحدها يخالف الواقع ، ويبعد بالانسان عن حقائق النفس البشرية . وان كان يوافق في ناحية بعض ما ورث الناس عن التاريخ او الدين في شعب من الشعوب .

على ان الاديان السماوية نفسها لا تسمح للبشر ان يلغوا عقولهم ، ويتبعوا اهواءهم ، ويزعموا ان القضاء قد قدر ما يقعون فيه من اجرام ومآثم وشهوات واحزان ، لان للمرء ارادة يسأل عن اعمالها ، وينا له الشر جزاء ما يفرط فيه ، فالمأساة الناشئة عن هذا هي تمثيل الآلام التي

لم يتجنب الانسان اسبابها ، ووقوع المصائب التي سلك سبيلها . وهذا المذهب في المأساة كما نرى ، مستمد من ينابيع البشرية نفسها ، قلبها وفكرها وارادتها ، يعتمد على تحليل العواطف الانسانية ، وارجاع الامور الى منابعها الاصلية ، في البشرية عامة .

فهـو اذا اشمل للناس والصق بالنفس وابلغ في الموعظة ، ولا يفقد اي عنصر من عناصر التشويق والجاذبية والجمال واسر القلوب ، اضف الى ذلك انه اكثر ملاءمة للعقل المثقف والمدنية العالمة ، والمسرح الحديث وكل ما يجري على المسرح من حركة وسكون وحوار وعراك في اطار المأساة هو الذي يطلق عليه اسم العمل المسرحي او العمل الروائي ، وهو يدور في الغالب حول عقدة يجعل الناس في ريب من امرها ، فهو يسير بهم في ناحية ، ثم الى سواها ، وما يزال يلقي اليهم بالشك في طريقة الحل ، وفي النهاية التي يتجه اليها ، ويثير لهم الخوف او الشوق حتى يبلغ ما يريد ، وهذا الدوران وذاك الشك ، اساسيان في احداث الجاذبية المسرحية . لان الرواية التي تتابع فيها الحوادث مسرودة سردا هـي اشبه بالقصة الناطقة منها بالمسرحية الفنية .

وقد يتعاقب في المأساة الحزن والسرور والخوف والامل ، كما قد يكون في الملهاة ، ولكن اذا صح ان ينقل السرور الى المشاهدين في الملهاة ، فمن حقهم الا يجور عليهم بالحزن في المأساة ، وتظهر القدرة هنا حينما يقدر لاشخاص الرواية ان يقعوا في النكبات والآلام عن طريق التمثيل ، ولا ينال ذلك من المشاهدين غير الاعجاب والتأثر .

الملهـاة ... كوميـدي

ان المأساة تدور حول مصائب الدهر النازلة ، وتمثل البلاء والشدة في الناس ، وعلى عكسها تكون الملهاة ، اذ تدور حول حادث من حياة الناس يبعث على الضحك واللهو ، فهي تتناول طبائع الناس واخلاقهم وعاداتهم ونقائصهم ، فتصورها في معارض من الضحك والسخرية .

المأساة تصور جانبا من تاريخ البشرية القاسي بما فيه من المخاطر والاهوال والنوازل ... وتصور الملهاة جانبا من حياة المجتمع الذي نعيش فيه ، او المجتمع الذي فات زمنه ، وتعلعنا علـى الرذائل المحتقرة ، والطباع الدنيئة ، والاوضاع الشاذة ، ولكن من جانب السخرية والاضحاك . فان أريد عرضها من باب الهول الذي ينشأ عنها والبلاء الصادر في المأساة . وسبب الضحك فيها ينشأ اما من خطأ حقيقي او ادعائي او من مغالطات وتناقضات فاضحة ، لا ضرر منه ولا تبعة فيه ، فنحن حين نضحك ، انما نضحك للاختلاف الحاصل او من ما نشاهده على المسرح وبين الواقع اختلافا لا يكون فيه مضرة لاحد . فالرجل المفلس الذي يظن نفسه جديرا بأن يعلم الناس جمع ثروة ، والشيخ المتهدم الفاني الـذي يتصابى في لهجته ، يبعثان على الضحك ويستوجبان السخرية ، لانهما يريان الاشياء على غير حقيقتها .

وعلى هذا فمبدأ المأساة احساس الانسان وشعوره المتألم ، واما مبدأ الملهاة فخبث الانسان وضعفه وتردي خلقه . وواسطة المأساة هي التأثير في النفوس وحمل العظة الى القلوب واستثارة الرهبة والرحمة .

وامـا واسطة الملهاة فالضحك والسخرية والتهكم والنقد لعيوب الافراد والجماعات ، وكثيرا ما تعتمد الملهاة لبلوغ مقصدها على المفاجآت لتنتزع الضحك والسخرية من الناس في يسر واطراب .

وهي ترمي الى غاية اخرى غير الضحك والسخرية والامتاع ، اذ تتوخى اصلاح فساد الاخلاق في الناس ، بعرض فساد الآخرين وتصويره تصويرا يستهـزأ بـه ويضحك منه ، والسبب في الاضحاك والسخرية يكون في خطأ واقع او ممكن الوقو ع، ولكن ليس له تبعة محزنة ولا نتيجة سيئة ، ويكون منشأ هذا الخطأ نقصا في الخلق او الذكاء او التقدير او لظرف خارجي ، وينتج عن ذلك الخطأ اقوال وافعال تخالف المألوف من العادات والمعروف من الاصول المتبعة ، كالعجوز التي تجمل نفسها بالمساحيق والقلائد والثياب الزاهية وللملهاة ثلاثة انواع :

آ ــ الملهاة المعقدة المشكلة .. وتتضمن حوادث غريبة مضحكة ومتشابكة ، وتنتهي بما هو مرغوب فيه ، بعد ان تستأثر بلب المشاهدين ، ويغلب عليها الا يكون الاصل فيها ، تصوير الاخلاق والعادات ، ومن امثلتها ملهاة « المريض الواهم » لموليير .

ب ــ الملهاة الاجتماعية .. وهي التي تعنى بالهزء من سخف المجتمع ، وما تواضع عليه في طبقة خاصة وعصر محدد ، وتتناول عيوب المجتمع بالنقد الصريح الذي يظهر آراء المؤلف بشكل واضح ومـن امثلتها ملهاة « النساء العالمات ــ والمتحذلقات السخيفات » لموليير .

وهذا الصنف ارفع مراتب الملهاة واصعبها وانفعها ، اذ يقدم المؤلف المسرحي للناس اخلاقهم ، فيخجلهم مـن نقائصها ويضحكهم من انفسهم . ولذلك فهي تتطلب دراسة عميقة لاخلاق البشر ، وخيالا مبدعا خلاقا ليؤلف بـين الملاحظات البشرية ويركزها في اطار معين .

ج ــ وقد يجتمع كل هذه الانواع الثلاثة ، المعقدة والمشكلة الاجتماعية ، في ملهاة واحدة ، فتوجد العقدة والمشاكل والنقد للمجتمع وطبقاته ، والاخلاق وما تواضع عليه الناس ، مع السخرية والاضحاك ، وهذه الملهاة اجمع الانواع واطرفها وانفعها وامتعها . ويلاحظ ان الغاية المتوخاة من انواع الملهاة وهي :

الاصلاح والاضحاك ، تستلزم من المؤلف ان يكون بسيط الايراد والسرد ، سهل الاسلوب ، مراعيا لوحدة العمل ، قريبا جدا من الواقع ، لان كيانها يقوم على حقائق

الاخلاق والعيوب ، واوضاع المجتمع ، فلا يستساغ البعد عنها ، وان كان لا بد للخيال من عمل في التركيب والتأليف بين الاوضاع المختلفة بحيث لا تتباين ولا تتنافس .

ولو استعرضنا تاريخ الملهاة لوجدنا انها عرفت اول ما عرفت قبل الميلاد في صقلية ، ثم انتقلت منها الى اثينا وتوطدت هناك الملهاة القديمة ، فكانت تكثر من النقد والتصريح بأسماء الاشخاص وحوادثهم . ثم جاءت الملهاة فيما بعد ، في القرون الوسطى في اوروبا ، فأقلعت عن ذكر الاشخاص . ثم جاءت الملهاة الحديثة فعقدت العمل الروائي واكثرت من وصف الاخلاق . ولم تزدهر الملهاة عند الرومان ولا صورت فيها الاخلاق والعادات .

وترك الناس الملهاة في القرون الوسطى ، وعنوا بالرواية الرمزية الخلقية والملهاة العامية وملهاة الحماقة ثم ظهرت للوجود من جديد في القرن السادس عشر ، واعلى مكانتها موليير (١٦٢٢ — ١٦٧٣) في القرن السابع عشر ، واكثر فيها من الملاحظات والنقد ، وكان تصوير العيوب ابرز ما في ملاهي موليير .

ثم ظهرت في القرن الثامن عشر ملهاتان قوميتان هما : حلاق اشبيلية ، وزواج الفيغارو تأليف بومارشيه (١٧٣٢ — ١٧٩٩) وازدهرت الملاهي الاجتماعية في القرن التاسع عشر التي تصف الاخلاق والعادات ، ولا نستطيع ان نغادر بحث الملهاة دون ان ننوه بنابغة انكليزي هو شكسبير (١٥٦٤ — ١٦١٦) في ملاهيه الثلاث : ثرثرات وندسور الفرحات ، وفي جعجعة ولا طحن ، وتيمون .

الملهاة العامية

وهي ملهاة تصور العيوب ، وتعمل على الاضحاك وتصاحب الموسيقى والرقص ولكنها لا تلتزم حدود الاحتشام والذوق وامكانية الوقوع ، وتتعدى نطاق الادب المفروض على الروايات والقصص ولا تتورع عن البذاءة والانطلاق .

وهذا النوع وان يكن مسلاة ولهوا ، الا ان خطره على الشعب يكمن في اعراض الشعب عن غذائه الفكري وعن توجيهه الى الخير واحساسه بالجمال ، كما ان فيه تجرئة الشعب على الفحش واطلاق الالسنة بالبذاءة ، وسوقه الى الانحلال الخلقي والفكري ، ولذلك كان الضرر منه اكثر من ذاك الذي لا يتعدى التهريج والاضحاك .

ويعود البدء في الملهاة العامية الى القرن الثالث عشر في اوروبا ، وقد بدا اتقانها منذ القرن الخامس عشر والسادس عشر وكانت تحتوي على عدد قليل من الممثلين الضعفاء ، كانوا جوالين كجوقات تمثيلية مرتزقة بين البلاد ، تعرض على الدهماء والعامة روايات خفيفة مضحكة ولم تكن لها قيمة ادبية صحيحة .

ويعود اختراع هذا النوع من التسليات العامية الى (بلوطوس) الشاعر اللاتيني الذي عاش في القرن الثاني قبل الميلاد .

المأساة العصرية ... دراما

والمأساة العصرية هي قطعة مسرحية من النثر او الشعر ، تخلط المأساة بالملهاة ، وتبرز الموضوع الجدي في المعرض الفكه وتقبل كل نمط من الاشخاص والاخلاق واللهجات ، فهي نوع وسط غير مستقر ، يعنى بدقائق الحياة الداخلية ومشاكلها ، والحياة الخارجية ومناظرها . وتتميز من المأساة الاتباعية الكلاسيكية البسيطة الساذجة بكثرة اشخاصها ، وغرابة حوادثها ، وتعدد مفاجآتها ، وتعقيد العمل فيها الى حد الارتباك والغموض .

وعلى هذا فالمأساة العصرية صورة الحياة الحقيقية بما فيها من صدى وعمل وتفكير ، واذا كانت المأساة قد اقتصرت على المفاجآت والنوازع ، والملهاة على العيوب والنقائص ، فان الدراما تجمع كل شيء وكل طبقة وكل حال وتستمد من كل موضوع ، وتريد ان ترضي كل سامع . فاذا كانت العامة ترغب في الرواية الحادث والعمل ، وتبتغي التهيج والانفعال ، واذا كانت الخاصة تنشد الموعظة والاعتبار وتبتغي التفكر في الاخلاق والمشاهد ، وكانت النساء تستثار بالاهواء والرغبات وتهوى تحريك العواطف وخفق القلب ، فان الذي يجمع الجميع هو نشدان اللذة للعين عند العامة ، والعقل عند الخاصة ، والقلب عند النساء ، وذلك ما يمكن ان يوفره المسرح لرواده ، ومن هنا وجدت المأساة العامية (ميلودرام) للعامة وفيها عرض لما يرضي اذواق العوام .

وقامت الدراما بالجمع بين خصائص المأساة في تحليل الاهواء واستنباط العبرة وحسن الخلق وبين الملهاة في تصوير الاخلاق ونقد العيوب والظفر بلذة القلب ومتعة النفس . وقد تمثل هذا النوع في عبقرية شكسبير التي جمعت بين مآسي كورني ، وملاهي موليير ، فكان فضله في ذلك عظيما .

والدراما التي تقصر عن ايراد العبرة واستنباط الموعظة ، تفقد ركنا هاما من كيانها ، وان كانت تجذب السامع وتؤثر فيه لان هذا ليس هو الاصل في المأساة ولا في الدراما ، وان يكن عنصرا مهما فيهما ، فالملهاة التي تقتصر عن الوصف والتحليل وتقتصر على الاضحاك ، لا تفيد غير الهزل والتهريج .

وعلى هذا فان الرواية لا تزدهر ولا تبدع الا اذا كان المؤلف موهوبا ، فيه من صدق الملاحظة وخصب المخيلة ورجاحة الفكر وبلاغة القول ما يستطيع ان يجمع به خصائص المأساة والملهاة في صعيد واحد ، لان الجمع بين

الجد والهزل والفرح والالم واختيار الحوادث والاشخاص من مختلف العصور او الطبقات يحتاج الى عبقرية فنية خصبـــة .

على ان هذا الجمع لا يعني ان ليس بين المأساة والدراما من فرق ، ويتبين لنا ذلك الفرق في ان المأساة لا تعتمد في الاغلب على الموضوعات القومية ولا المعاصرة ، وتتجه الى الاخذ بالاساطير والتاريخ القديم وسير الابطال وكبار الرجال ، كما تعنى بالنفس الانسانية حين تدرس الاخلاق والعواطف والاهواء ، وتمثل على المسرح اوضاع النفوس ومخبوءاتها ، وهي لا تهتم كثيرا بالزينة المسرحية او الالوان المحلية ، ويهمها ان تعقد العمل الروائي ، فهي تناقض الدراما في كـل ذلك ، لان لهـذه عناية خاصة بالاشخاص والعالم الخارجي بشكل خاص ، وتهتم بزخرف المسرح وبالتأثير في الحواس اكثر من التأثير في الاذهان وتراعي اظهار الاشخاص بألوانهم المحلية التي كانوا فيها وتنطقهم بعادات ذلك المكان الذي عاشوا فيه ، وتعقيد العمل عندها أثر من وصف الاهواء وتصوير العواطف .

والتزمت الدراما من الوحدات الثلاث (وحدة الزمان ، وحدة المكان ، ووحدة العمل) بوحدة العمل فقط ، واهدرت الوحدتين الباقيتين ، كما اكثرت من النجوى الوجدانية بالاسلوب الرائع الجذاب .

والدراما بهذا المعنى وهذه الخصائص ، لم تعرف قبل القرن الثامن عشر ، حينما ألف لا شوسه (مدرسة الامهات) وفولتير (الطفل المبذر) . ثم ادخلت الدراما بعـد ذلك الى الميلودراما اي المأساة العامية بمصاحبة الموسيقى والمواقف الشديدة المتمة . حتى جاء الابتداعيون (الرومانطيكيون) فبعثت من جديد ، وكان فيكتور هوغو ابدع من كتب فيها في فرنسا ، واتخذ شعارها امتزاج الجد بالهزل ، والترفع عن المجون كمـــا نرى في (هرناني) و (كرومويل) من تأليفه .

وكان شكسبير يذكر عند (الكلاسيكيين) الاتباعيين القدماء ، موضع اتهام في مسرحياته ، ولكنه في نظـر (الرومانطيكيين) الابتداعيين سيد الفن الروائي ، وكان له في الدراما روايات خالدة مثل (تاجر البندقية) ، ويرى بعضهم في رواياته الدرامية شيئا من ضعف البناء وبعد الامكان وتكلف الاسلوب ، على ان الناظر المتمعن فيها يجد الرفيع والخليع والمضحك ، والعواطف الرقيقة الى جانب الاهواء العنيفة .

المأساة العامية ... ميلودراما

وهي في الحقيقة دراما لاحقة بها ، الا انه فيها فواجع ومواقف مخيفة ، كما تشتمل على الهزل الجريء ، والرقص والموسيقى اللذين يمثلان ركنا منها . وعمل هذه المأساة العامية يعتمد على الشدة والعنف ، ويبتعد عن الامكانية في سبيل المفاجآت فتظهر الاهوال على المسارح من حريق او قتل او تسميم ، ويزرع الرعب عند النظارة ، ويصاحب ذلك موسيقى معبرة ، تتقدم دخول الاشخاص الى المسرح ، كما ان الرقص فيها معبر قريب من الباليه ان لـم يكن للتسلية والامتاع فحسب وهي تجمع في اسلوبها بـين الزخرف والابتذال ، وفي عملها بين الارهاب والعنف والعناية الالهية واللطف ، بحيث يقتص للفضيلة من الرذيلة وللبريء من المجرم .

وهذا الخليط من الارتفاع والانحدار في الميلودرام ، يحببها للعامة ، ولا يرضي الخاصة ومصيرها الى الفناء ، لان الدراما اصبحت اليوم في الذروة من الفن المسرحي .

المسرحية الغنائية ... الاوبرا

وهي في الاصل دراما شعرية ، ولكنها لا تظهر بغير الغناء والانشاد ، ويصاحبها الرقص على الاغلب وتستمد مـن الاساطير والاوهام والاشباح والخوارق ، وتوقع علـى انغام الموسيقى ، وتخلو من الحوار اللفظي .

ويجتمع حول الجو الغنائي فيها كل ما يعين على الامتاع الروحي ، مـن موسيقى ورقص وعناية بالاثاث والرياش والملابس والالوان والصور ، وقدرة فائقة على تغيير المناظر بالسرعة العجيبة ، بحيث يستمتع المشاهد بالفنون الجميلة يطرف بها سمعه وبصره واحساسه الفني بالجمال فيما يرى والعذوبة في الانغام بما يسمع .

ومن هنا يتبين لنا ان التعقيد والعمل الروائي والكلام، ليس لها الموضع الاول في المسرحية الغنائية ، وانما الموضع الاول للتلحين والانشاد والرقص والديكور ، فتبدأ الموسيقى في الافتتاح والمقدمة ، ويأتي من بعد ذلك الانشاد والالحان الاولى والمثاني التي تزدوج فيها الصوت ، والمثالث والمرابع والمخامس والجوقة (الكورس) يتخللها الرقص والايماء حتى الختام في نهاية كل فصل ، على ان كل ذلك ليس من اركان المسرحية الغنائية بالضرورة .

وللمسرحية الغنائية نوعان .. جدية وهزلية :

آ ــ فالمسرحية الغنائية الجدية تجمع كل ما يستطاع للظفر باعجاب النفس والسمع والبصر فيمكن استمداد الموضوع مـن السحر والخوارق والاتيان بالاعاجيب ، والانتقال بين السماء والارض ، بحيث لا تعتمد علـى الحقائق بمقدار اعتمادها على الخوارق ، وقد يغالون في محاكاة الطبيعة وطلب التأثير البالغ الذي يقارب تأثير المأساة فيعتمد على السرعة والتلوين الباهر ، وقد يمزجون بين المرهب والعجيب ، والعنيف والطريف مـن المناظر الاخاذة ، والاوضاع الحضرية او الريفية البالغة في الاناقة ، كل ذلك بانتظام واتساق .

لا عينه تغفو ولا هـو يسأم
ما غام ليـل ، غربه يتجهم

تبلـى العصور حياله وشبابه
ذاك الشباب ، جديده لا يهرم

وبه ، على الحقب السحيقة لاننى
نحصي السنين على الزمان ونرقم

ونـدون التاريـخ في أحداثـه
فيمـا يقرره المصـير ويرسم

هـو والزمان التوأمان ترافقا
ويظل في ترف الشبيبة يحلـم

أولم يضيء قتم الدجى من (آدم)
ويحيل جهـم الافق ثغرا يبسم

فتنت روائعـه الاولى فتفرقوا
شيعا ، وكـل سادر يتوهـم

عبدوه عـن شغف بـه ومحبة
وسعوا بأفئـدة اليـه ويمموا

زان السماء بما أفاء ولم تزل
يمنـاه تغدق بالجليل وتنعـم

أضواؤه وشي الربيع على الربى
فيمـا تطـرز كفـه وتنمنـم

حال الدجى سحرا ، يشع بثاقب
لمشاعـل أنوارهـا تتضـرم

فبكـل سفح مـن سنا أنواره
ألق يشوق سناه أبيض مخذم

أو أنـه صافي اللجين تلاطمت
دون الثـرى أثباجـه تتحطـم

حسناته نعـم السحاب تتابعت
أطباقها تنهل بـل هـي أعظم

بعـث الحياة جديـدة أشكالها
فـاذا الجماد بسحره يتكلـم

فالظل وشوشة ، خفي جرسها
واللون ينفـح بالعبير ويفعـم

في الافق أعراس لـه ومواكب
وعلى الثرى ركب يمور عرمرم

والطير ، دون غصونه لهواجس
فتق الحنين جراحها ، يترنـم

والقلب يعصف بالجناح كطائـر
أصمته من ريب الحوادث أسهم

خلـت السماء صحيفة بثواقب
شطرت ، وبدر الافق فيها المرقم

أو كان فاتحة الصحيفة ، دونها
مقل الورى عشيت وراحت تحلم

دمشق
عدنان مردم بك

ب ـ المسرحية الغنائية الهزلية هـي دراما فكهة الاسلوب تجمع الغناء الشعري الى الحوار النثري وتهتم بالتعقيد الروائي . وقـد ظهر هذا اللون قديما كملهاة غنائية ، ثم اقترب من الغنائية الجدية بتغليب الموسيقى ، فلم يبق بينهما فرق كبير غير الاسلوب الفكاهي ووجود الحوار ، فاطلاق لفظة الهزل لا مبرر لها اليوم .

(والاوبرا كوميك) اي المسرحية الغنائية الهزلية نشأت عن نوع قديم يسمى (الفودفيل) وهي ملهاة تافهة معقدة هزلية ، فيها ملح ونكت واقذاع وغناء عادي ، وكانت في الاصل اغاني هجائية ثم انتقلت وصحف اسمها ودخلت الملاهي باسم فودفيل ، وكانت اشعارا تغنى بألحان معروفة . ثم دخلها الحوار .

ثم هذبت وعلى هذا فالفرق تبين بينهما لان الحان المهزلة الفودفيل معروفة مألوفة مـن قبل ، اما الحان المسرحية الغنائية الهزلية فتصنع لها خاصة . وأدى ذلك الى ابتكار الحان جديدة واقتباس بعض المثاني والمثالث من الغنائية الجدية ، واصبحت المسرحية الغنائية الهزلية فنا ادبيا وعملا روائيا والرأي اليوم يميل الى الاكثار من الغناء في المسرحية الهزلية ، والاقلال من الحوار بحيث تقتصر على ان تكون دراما غنائية ، فهي بهذا طريق من الفودفيل العامية الى الاوبرا الرفيعة ، وهي تقترب من السمو بمقدار ما تبتعد عن ذلك الابتذال .

دمشق
علي المصري

الاندلس
في الراواية والمسرحية والقصة

بقلم الدكتور محسن جمال الدين

* * *

كانت (الاندلس) وما زالت ، شاخصة امام نواظرنا ، ثابتة محبتها في نفوسنا . حضارة ، وفنا ، وبطولة ، ومأساة منذ ان دخلها العرب فاتحين لشبه جزيرة (ايبريا) سنة ٩٢ هـ/٧١٢ م. الى ان بداوا يسلمونها ويخرجون منها سنة ٨٩٨ هـ/١٤٩٢ م.

وكلما عقدت المجالس الادبية في المشرق ، او قامت المعاهد العلمية في المغرب ، تذكر العرب مأساة خروج اخوتهم من تلك الديار الفاتنة الجميلة . ولو لم تكن قضية (فلسطين) الشهيدة واقعة ، وحادثة ، بمانراها اليوم ، ورآها آباؤنا بالامس . لظلت موشحة لسان الدين بن الخطيب على الالسن :

جادك الغيث اذا الغيث همى يا زمان الوصل بالاندلس
لم يكن وصلك الا حلما في الكرى او خلسة المختلس

ان الادب العربي وفنونه الادبية ، ساهمت في تصوير الاندلس قديما ، وما لها من مكانة ومنزلة ، وما لابطالها من احترام وتقدير .

ولما قامت حركة النهضة الادبية الحديثة ، في الشرق الاوسط ، وتحركت الحياة في دماء ابناء الوطن العربي الكبير ، وجدنا قصائد الشعراء ، **ومقالات الادباء ،** ومؤلفات الكتاب والباحثين ، ورسائل العلماء والمترجمين ، ودراسات المستعربين والمستشرقين ، تتجه لاحياء التراث العربي ، والاشادة بما فيه من عبقرية ، وابداع وابتكار .

وكانت حصة الاندلس وادبها ، وتاريخها ، وحضارتها قليلة في مطلع هذا القرن ، اذا قيست لحصص بقية اقطار الشرق العربي ، والمغرب الكبير . وذلك يعود لانشغال الناس في حربين كبيرتين عالميتين ، والصراع الذي كان يدور في الوطن العربي مع المستعمرين المحتلين ، ولانعزال (اسبانيا) السياسي عن العالم المشرقي ، وقلة مصالحها مع الامة العربية ، كل هذه العوامل وغيرها ، لم تجعل خيط الصلة الروحية مع اسبانيا ينقطع بيننا ، ما دامت الاندلس وما دام جامع (قرطبة) ومنارة (اشبيلية) وقصور بن عباد ، وحمراء (غرناطة) شاخصة فيها .

هذا ولا ننسى بأنه منذ مطلع القرن التاسع عشر اخذ المستشرقون الاسبان انفسهم ، يوجهون اهتماماتهم بدراسة (اسبانيا المسلمة) ، كما يسمونها ، او الاندلس العربية كما ندعوها .

ثم اخذ ابناء الشرق العربي في مصر ، وسورية ، ولبنان ، والاردن ، والعراق ، وديار المهجر ، والسودان ، وكذلك اقطار المغرب الكبير ، وبلدان الخليج العربي ، يعودون الى الاندلس فيصورون احداثها ، ومعالمها ، وادبها ، وشخصياتها الادبية ، تصويرا خياليا يدور في عالم المسرحية ، والرواية والقصة ، وبقية الفنون الشعرية والنثرية ، ويأتي في طلائع هؤلاء من العرب :

سليم البستاني ، والشيخ ابراهيم الاحدب ، واحمد شوقي ، واحمد علام ، وجرجي زيدان ، وعلي ادهم ، وعلي الجارم ، وعزيز اباظة ، وعلي عبد العظيم ، وعدنان مردم بك ، وعبد الرزاق الهلالي ، وابراهيم العريض ، واحمد رامي ، ومحمود تيمور ، وزكي قنصل ، وفوزي المعلوف ، والشيخ فؤاد الخطيب ، وعيسى ابراهيم الناعوري .

ومن غير العرب وجدنا من الاسبان :

غرسيا لوركا ، ومارتينيت دي لاروزا ، وخوسه كواردوفا ، وفرنسيكو فيلاسبيسا .

ومن الاتراك : ضياء باشا ، وعبد الحق حامد .

ومن الفرنسيين : شاتوبريان ، والبير دي لومارشيه.

ومن الامريكان : واشنطن افيرنج .

وهناك قائمة اخرى من الاسبان الشعراء ، والكتاب والقصاصين استوحوا كتاباتهم من الاندلس . كما اننا لا ننسى ما كتبه الالمان ، والروس ، والهولنديون ، والايطاليون ، وغيرهم من الامم الاخرى الذين لهم صلات ادبية ، او سياسية ، او تجارية ، في يوم ما مع اسبانيا وتاريخها الطويل .

اما الشخصيات الاندلسية التي كانت اكثر اهتماما لدى الدارسين والمؤلفين ، والاحداث التي كانت اكثر دراسة وتحليلا لدى الناقدين ، لما رافقها من امور غريبة ، ومن مسائل كبيرة ، ومغامرات مختلفة ، فنجد ان في مقدمتها القضايا الآتية :

فتح الاندلس ، وعبد الرحمن الداخل ، وعبد الرحمن الناصر ، والمنصور بن ابي عامر ، والمعتمد بن عباد ، وابن عمار ، وابن زيدون ، وولادة ، وزرياب ، وبنو سراج ، وبنو الاحمر ، وقصر الحمراء .

هذا وقد ساهم المسرح العربي ، في اغلب البلدان العربية ، وخاصة في مصر ، في احياء ذكرى الاندلس عن طريق عرض بعض المسرحيات شعرية ، ونثرية ، وكذلك قامت المدارس والمعاهد في العراق وغيرها ، في بداية التعليم العصري ، بتقديم مسرحيات ، وتمثيليات قصيرة ، عن شخصيات اندلسية معروفة ، واحداث تاريخية مهمة .

ثم جاء دور الاذاعات والتلفزة ، فقدمت في برامجها الاذاعية ، الادبية ، والمسرحية ، والقصصية ، والروائية ، ما له صلة ، وعودة ، الى ماضي الاندلس العظيم .

ولا يخفى ان تلك القصص ، والمسرحيات ، والروايات تأتي مرة شعرية ، واخرى نثرية ، واحيانا شعرية ونثرية ، وكلها تشد الجمهور العربي اليها ، كما تشده (الموشحات الاندلسية) وموسيقاها الراقصة الناغمة ، وكلماتها العذبة الرقيقـــة .

رواية فتح الاندلس

للشيخ فؤاد (باشا) الخطيب (١٨٨٣ — ١٩٥٧) في عام ١٩٣١ م/١٣٥٠ هـ. نشرت مطبعة ابـن زيدون — بدمشق ، رواية شعرية ، تاريخية ، في ثلاثة فصول ، بعنوان (فتح الاندلس) ، في ٩٥ صفحة قطع الصغير .

كان قد نظمها ووضعها الشاعر اللبناني (اصلا) ، السعودي (عملا) ، هو المرحوم الشيخ فؤاد حسن باشا الخطيب ، من ابناء منطقة الشوف .

والمؤلف شاعر بليغ مشهور كان يسمى (شاعر الثور ةالعربية الكبرى) .

والرواية التمثيلية : استوحاها مـــن احداث فتح العرب للاندلس سنة ٩٢ هـ/٧١٢ م. وصور فيها ما دار من بطولات ، وتضحيات ، ومؤامرات اثناء فتح تلك البلاد ، وابرز فيها شخصيات عربية واسلامية ، كموسى بن نصير ، وطارق بن زياد ، وشخصيات اسبانية قوطية امثـــال لذريق ، ويوليان .

وعرض ثلاثة مشاهد لكل فصل من فصول الرواية الثلاثة ، بلغة سليمة ، وبيان بليغ ، وشاعرية شماء ، وخيال مجنح ، وحوار اخاذ ، وحشد فيها مجموعة من الممثلين ، والمتحدثين ، والقواد ، والجنود ، من العرب ، والاسبان ، واليهود ، والبربر .

غير انه لا يؤاخذ لما في اسلوب الرواية من لغـــة خطابية ، لان حرارة الحماس القومي ، والشعور العربي ، والتفاخر بالامجاد القديمة ، طغت على عواطف المؤلف الكبير ، وشاعريته الملهمة ، ومن قرا ما الف ونشر في هذا الفن منذ نصف قرن ويزيد ، وما يقراه اليوم يجد الاختلاف الواضح ، في اللغة ، والمادة ، والتصوير ، والعرض ، والمحتـــوى .

واحتوت الرواية (مقدمة) رائعة صريحة لشاعر القطرين خليل مطران بك .. اني عثرت عليها في خزانة (مكتبة الجوادين) لمؤسسها المرحوم العلامة الجليل السيد هبة الدين الشهرستاني من وزراء العراق السابقين .

وقد كتب عليها الشاعر المرحوم الشيخ فؤاد باشا الخطيب اهداء بخطه لسماحة السيد الشهرستاني جاء فيـــه :

الى حضرة صاحب السماحة مولانا العلامة الاكبر ، والمجتهد الاعظم السيد هبـــة الدين الشهرستاني المعظم حفظه الله للاسلام والمسلمين .

ذكرى تشرفنا بالاجتماع بسماحته في مشهد خراسان يوم ٦ شوال ١٣٦٧ هـ.

المخلص : فؤاد الخطيب

خلاصة الرواية ومحتواها

قال الشاعر خليل بك مطران في مقدمته : « اذا عدت الحوادث الكبرى في التاريخ عـــد فتح منها فتح العرب للاندلس » .

ويستمر الشاعر مطران في الادوار التي مرت على اسبانيا من فينيقية ، ويونانية ، ورومانية ، وقوطية ، ويقول عن الدور العربي :

« ... ويشاد ذلك ملك عربي ضخم واسع ينشيء حضارة جديدة ، بأكمل ما تحتاج اليه من العلم والادب والصناعة والزراعة ويظل عزيزا مئات من السنين الى ان تعتوره نفس العوامل التي قضت على تلك الامة قبله فتقضي عليه » .

ثم يشيد ويفخر بأمجاد العرب هناك فيقول :

« تلك اعجوبة فتح الاندلس ، استفاضت اسفار التاريخ الضخمة في ذكـــر اخبارها ، وانـــك تتصفحها فتتمشى من عجب الى عجب ، وترى الاسهاب في غايته لا يفي بوصف ادنى المعجزات التي ابلغت الامة العربية في بدء نشأتها اسمى مبالغ المجد » .

ويستمر في الحديث عـــن الشاعر فـــؤاد الخطيب وروايته فيقول :

« على ان ما ضاق به التاريخ مـــن معجزة فتح الاندلس قد وسعته رواية شعرية عنونت باسمه ، وفتح الله على ناظمها بوحي سلسل فيها الحوادث كأحسن ما يستحب تسلسلها وبشعر وافق لغة اولئك الابطال في ذلك

العصر اجمل موافقة ، فلا يستطيع من يقراها الا ان يقول تلقاء هذا الفتح الادبي ، كما قال اشهاد ذلك الفتح الحربي ، « الله اكبر ! » .

ويبدي الشاعر مطران ملاحظة تدل على العبقرية والفطرة العربية والنبوغ العربي فيقول : « جل فضل الله فيما خص به الفطرة العربية من مزايا لم يودع منها سجايا الامم الاخرى الا شتاتا ، فهي حين تخدم حق خدمتها في اي مذهب فكري او فن ادبي — حائلا دونه ما حال من المصاعب — تأتي بالمعجزات على مـا نرى منه جملة مدهشة في بلادنا وفي مهاجرنا وحسبنا بروايتك شاهدا » .

ويختم حديثه بقوله :

« مرحى ، مرحى ، اي شاعر العرب وامير دولة الادب ، حياك الله احسن تحية بما اخرجت لنا من المفخرة التي تنفس كل ثمن وتخلد بين اقوم ذخائرنا السامية على الزمن ، فقد اضفت في نفوسنا الى كرامة ذلك الفتح القديم ما شاء نبوغك وافتتانك من السرور والاعجاب بفتحك الجديد العظيم » .

اشخاص الرواية

تضم الرواية شخصيات اسلامية ، عربية ، بربرية ، قوطية ، يهودية . ويبدو الحوار الكثير متمثلا بشخصية موسى بن نصير ، وطارق بن زياد ، وهارون ، ولذريق ، ويوليان ، الذي شجع العرب على فتح اسبانيا نكالا بلذريق لاعتدائه على شرف فلورندة ابنة يوليان . وهذه الحادثة يبعدها المؤرخون الاسبان عن الحقيقة ، ويعتبرونها من نسج الخيال ، ولان فتح العرب للاندلس كان لاسباب عديدة ، من دينية ، واقتصادية ، وسياسية ، واجتماعية ، ذكرها اغلب المؤرخين العرب ، والاوروبيين .

اقباس من الرواية

نعرض الآن مقتبسات من الرواية وردت في فصولها الثلاثة ، وابوابها التسعة ، كي يجد القارىء الكريم صورة لبلاغة الشاعر المؤلف واسلوبه الشعري التمثيلي .

من الفصل الاول : المشهد الاول

الكونت يليان : (يخاطب القائد مفيث الرومي)

أقبلت يحفزني اليك رجاء   اطوي الفجاج تلفني الظلماء
وانا الجواب على كتابك لم اطق   رثيا كذلك يفعل الخلصاء

المغيث :

أنا من عرفت وقد كتبت موريا   فاجهر بسرك حسبك الايماء

الكونت يليان :

ماذا اقول ؟ وكيف اشرح قصتي   عرضي اهين ! ومحنة وبلاء

المغيث :

عرض أهين ؟

الكونت يليان :

نعم أهين ودنست   عذراء كم فخرت بها العذراء
لذريق ضرج ثوبها بدمائها   أولم ترق فوق الدماء دماء
أولم تمد بالقوط شمم جبالهم
أين الاباء ؟

الكونت يليان :

وهل هناك اباء
لو كان فيهم ما ذكرت لما مشت   قدم اليك ولا ارتمت ابناء

من المشهد الثاني : الفصل الاول
(ابن عباد لشيخ طنجة)

لك ما تشاء فقل وسربك آمن   فامير طنجة طارق بن زياد
العدل فيه وفي ذويه سجية   وامانة الامراء للقواد

ابن عباد (للامير طارق معتذرا) :

لقد عاش هذا الشيخ ستين حجة   يكابد بغي الروم والبغي يرهق
ومن يك تحت الذل طفلا ويافعا   وكهلا وشيخا فهو في الذل معرق
لقد شقي الشعب الضعيف وانني   لاعطف محزونا عليه واشفق

الامير طارق :

انقطع ايدي السارقين وغيرهم   يشد على حق الشعوب فيسرق
ونحن حماة العدل شرقا ومغربا   نكر على الباغي الاثيم فيصعق
وما عرف التاريخ كالظلم آفة   تدمر اخلاق الشعوب وتسحق
يجرعهم موتين : موت نفوسهم   بذل . وموت الارض بالفقر تمحق

من الفصل الثاني : المشهد الاول

لك الله من شعب صريع المظالم   تعشم ما بين القنا والصوارم
فما انحدرت من مقلة الغرب عبرة   ولا ارتفعت في الغرب صيحة لائم

ومنها :

وما هذبوا بالعلم الا سلاحهم   ويا ويح علم بات معول هادم
فان كان ضعف المرء ذنبا يشينه   فلا خير من ملك ولا شرع حاكم
وكيف يكون الهي والامر في يد ؟   ملوثة من مهدها بالجرائم

من الفصل الثالث : المشهد الثاني
مرتين يجر القيود :

هل يعلم السجن اني منه في نعم   وان لذة نفس الحر في الالم
فلا الطغام تمج العين رؤيتهم   ولا اللئام تدس السم في الدسم
أصبحت فيه أجر القيد مغتبطا   والقيد في الرجل غير القيد للهمم
ان السلاسل والاغلال حليتكم   قد اهديت كرما من غير ذي كرم
فمرحبا بخطوب الدهر مطبقة   وما الخطوب سوى التمحيص للامم

من المشهد الثالث : الفصل الثالث
الامير طارق ملقيا خطبته :

الى اين يا قومي المفر ! وما العذر   وقد كشرت عن نابها الفتكة البكر
أمامكم الاعداء والبحر خلفكم   وليس لكم الا العزيمة والصبر
وانتم من الايتام أضيع موقفا   بمادبة القوم اللئام وهم كثر

ومنهـا :

أجل انا منكم لست عنكم بنجوة ... وان ادع لم أحجم ولم يلوني الزجر
وسوف أشق النقع أبداً قبلكم ... بنفسي – فاما الحتف فيه او النصر

ويختم الرواية بقول ابن خطاب :

وحقق العرب ما ترجون من فرج ... لا زالت العرب في عز وسلطان
وليحي طارق عاش الجند مؤتزرا ... بالمجد منتصرا في كـل ميدان
لقد ظهرنا على الاعداء قاطبة ... في البر والبحر من قاص ومن دان
لـم تغن كثرتهم عنهم وعدتهم ... ولا التطاول في ملـك وبنيـان
وكيـف بالنصر والايمان يعوزهم ... ولم تفز أمة مـن غير ايمان
الى الامام ... وشدوا من عزائمكم ... الى طليطلة مـن شعب جبان
يسدل الستار

ان من الرواية ابياتا شعرية يصح ان تكون حكمة متداولة ، وقول مأثور منها قوله :

هي البلادة لا صبـر ولا جلـد ... من يالف الخسف لم يؤلمه ما يجد

وقولـه :

يقولون قال الشعب،والشعب لم يقل ... وان هـي الا فريـة وتشدق

وقـال :

وكيف نبالي امـة كـل حظها ... مـن المجـد في القابها وثيابها

وقـال :

فاذكروا ظلم مـن أساء اليكم ... ولئـن كان مـن أساء ضئيلا
ان نسيتم أذى العـدو هلكتم ... فتواصوا بالذكـر جيـلا فجيلا

وقولـه :

ان المحبـة في القلوب وانمـا ... نجد الجيوب على القلوب شواهدا
ان لم يكن سيف لديك فدرهم ... يغنيـك عنـه مناضلا ومجاهدا
ولئن سكت فكم تكلم في يدي ... قلم تسيل به الطروس مكايدا

وقولـه :

ان الذي استأمن الافراد ممتلىء ... حمقا فكيف الذي يستأمن الامما ؟

وقولـه :

فصادق الفجر يغشي الافق مقتربا ... والفجر كالناس لم يسلم من الكذب

وقـال :

هي دعوة الوطن العزيز ولم تكن ... عـن دعوة الوطن العزيز ثقالا

وقـال :

قد كنت أشبه بالبغي فان رأت ... كرما أبـت وطغت ولج عنادها
واذا استخف بها الزنيم تهتكت ... شغفا واصبح في يديـه قيادها
لو كان رأيك في الكريم موفقا ... لرأيت نفسك والكريم عتادهـا
ان لم يعنك بكى عليك فرفهت ... عنـك اللواعج دمعـة تزدادها

وقولـه :

واشد من شؤم الهزيمة وطأة ... مرأى الخيانة وهي منك بمشهد

هذه لوحة قلمية عامة عرضتها لفن من الفنون العربية الجميلة ، ساهم شعراؤنا وكتابنا العرب في تصويرها ، وتلوينها ، واخراجها بأقلامهم . وكل واحد ممن سنعرض نتاجه يختلف ابداعا ، وعبقرية ، واخراجا لما يتمتع به من طاقة ادبية ، ولغوية ، وفنية .

اما الشاعر الكبير الشيخ فؤاد الخطيب فهو مـن الذين شهدت لهم المحافل العربية ، ببلاغته ، ونبوغه ، وجرأته ، ودعوته للحرية ، والاستقلال ، واليقظة الفكرية، وهو مـن الشعراء الكبار الذين يجب دراسة شعرهم وتحليله ، وبيان أثره لجيلنا وللاجيال القابلة في امتنـا الكريمة ، وعسى ان تكون لنـا عودة لدراسة ديوانه وآثاره البليغة .

– اهم المصادر والمراجع –

(١) – معجم المسرحيات العربية والمعربة للدكتور يوسف اسعد داغر بغداد – وزارة الاعلام (الثقافة والفنون) ١٩٧٨

(٢) – القصة في الادب العربي الحديث للدكتور محمد يوسف نجم القاهرة ١٩٥٢

(٣) – الرائد في الادب العربي للاستاذين نعيم الحمصي – خليل هنداوي . دمشق ١٩٥٢

(٤) – الاعلام : للاستاذ خير الدين الزركلي . ط٢/١٩٥٩ القاهرة

(٥) – صورة ابن زيدون في الادب العربي الحديث للدكتور محسن جمال الدين . الرباط/١٩٧٥

(٦) – مصادر الدراسة الادبية للدكتور يوسف اسعد داغر ط١ بيروت ١٩٧٢

(٧) – معجم المؤلفين للاستاذ عمر رضا كحالة . ط١ دمشق ١٩٥٨

جامعة بغداد – كلية الآداب ... محسن جمال الدين

عـثرات الادباء

* * *

بقلم محمد العدناني

الامــرد

الامرد هو الذي طر شاربه ، ولم تنبت لحيته . ولما كان القياس ان يكون مؤنث (أفعل) هو (فعلاء) ، فقد يجيز بعضهم لنفسه ان يقول : هذه الفتاة مرداء ، وهذا غير جائز ، لان الفتاة ليس لها شارب لكي يطر ، ولا نتوقع ان تنبت لها لحية .

وقد ذكرت المعجمات الآتية الامرد ، وحذرتنا من قول مرداء : الصحاح ، والمختار ، واللسان ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والوسيط .

وللمرداء معان اخرى ، منها :

(أ) الرملة لا تنبت . (ب) الشجرة لا ورق عليها .

(ج) الارض الخالية من النبات .

المريــخ (بكسر فتضعيف)

ويطلقون على النجم من الخنس (بضم ففتح فنون مضعفة مفتوحة) ، وهي الكواكب السيارة دون الثابتة ، اسم المريخ (بفتح فتضعيف) ، والصواب : المريخ (بكسر فتضعيف) : الصحاح ، والمختار ، واللسان الذي استشهد بقول الشاعر :

فعند ذاك يطلع المريخ   بالصبح يحكي لونه زخيخ
من شعلة ساعدها النفيخ

(الزخيخ : اشتداد الوهج) ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، ودوزي ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

ويقول القدماء ان المريخ في السماء الخامسة . اما اسمه في الفارسية فهو : بهرام (الوسيط) . وهو في الاساطير اله الحرب (مارس) .

وقال ابن الاعرابي : « ما كان من اسماء الدراري فيه الف ولام ، وقد يجيء بغير الف ولام ، كقولك : مريخ ، الا انك تنوي فيه الالف واللام » .

ومن معاني المريخ :

(١) سهم طويل ذو اذنين يغالى به (اي ينظر مدى ذهابه) .

(٢) رجل مريخ : كثير الادهان .

(٣) الرجل الاحمق .

(٤) المريخ من الشجر : اللين .

(٥) الذئب : اللسان ، ومستدرك التاج ، والمتن (مجاز) ، والوسيط .

مــروءة ومــروة

ويقولون : فلان ذو مروءة (بفتح الميم) . والصواب : هو مروءة (بضم الميم) ، كما تقول المعاجم كافة . والمروءة (بضم الميم) ، كما قال الاحنف ، هي العفة . وسئل آخر عنها ، فقال : هي ان لا تفعل في السر امرا وانت تخجل ان تفعله جهرا . وفي شرح شفاء الغليل للخفاجي : هي تعاطي المرء ما يستحسن ، وتجنب ما يسترذل . وقيل هي صيانة النفس عن الادناس ، وما يشين عند الناس ، او هي حفظ اللسان وتجنب المجون . وقال المعجم الوسيط : هي آداب نفسانية ، تحمل مراعاتها الانسان على الوقوف عند محاسن الاخلاق وجميل العادات ، او هي كمال الرجولية .

ويجوز ان نقول ايضا : هو ذو مروة (بضمتين فتضعيف) : الصحاح ، والعباب ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، ودوزي ، واقرب الموارد ، والمتن .

واكتفى الراغب الاصفهاني في مفرداته بذكر المروة وحدها ، وقال : انها كمال المرء ، كما ان الرجولية كمال الرجل .

وخيل الى الكثيرين ان المروة عامية ، لان العامة تتفوه بها . وفي جنوب لبنان اسرة كبيرة ، اسمها اسرة (مروة) .

اما فعله فهو مرؤ (بفتح فضم) يمرؤ (بضم الراء) مروءة (بضم الميم) ، فهو : مريء (بفتح الميم) .

ومن معاني الفعل مرؤ وبعض مشتقاته :

(١) مرؤت الارض تمرؤ مراءة : حسن هواؤها ، فهي مريئة (بفتح الميم) .

(٢) مرؤ الطعام مراءة (بفتح الميم) : صار مريئا (هنيئا حميد المغبة) .

(٣) أمرأ (بفتح فسكون) الطعام فلانا : نفعه فهو طعام ممريء .

(٤) مرؤ الرجل : صار ذا مروءة (ابو زيد) .

(٥) تمرأ (بتضعيف الراء) فلان : تكلف المروءة (اللسان) . صار ذا مروءة (اللسان) .

(٦) مريء (بفتح فكسر) يمرأ (بفتح فسكون) مرأ (بفتح ففتح) : صار كالمراة هيئة او حديثا .

(٧) استمرأ الطعام : وجده مريئا .

(٨) مرأ فلان : طعم (بفتح فكسر) .

مر الطعام ، أمر (الراء مضعفة) الطعام (بضم الميم)

قد اختلفوا في جواز قولنا : مر الطعام ، اذ خطأ الكسائي من يقول ذلك ، وقال ان الصواب وهـ : أمر (الراء مضعفة) الطعام (بضم الميم) ، اي : كان طعمه مرا . بينما اكتفى معجم الفاظ القرآن الكريم بذكر جملة : (مر الطعام) وحدهـــا .

والحقيقة هي اننا نستطيع ان نقول : مر الطعام وأمر الطعام اعتمادا على ابن الاعرابي ، وادب الكاتب في باب ابنية الافعال ، وثعلب الذي قال ان (أمر) اكثر استعمالا من (مر) ، والحسن العسكري في التصحيف والتحريف ، والصحاح ، ومعجم مقاييس اللغة ، والمحكم ، ومفردات الراغب الاصفهاني ، والاساس ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

وتجيز لنا المعاجم ان نقول ايضا : استمر (بتضعيف الراء) الطعام ، اي صار مرا ، منهـــا : الاساس ، والمصباح ، والوسيط .

وتجيز لنـــا المعاجم قول : أمره غيره ، ومرره : صيره مرا .

وفعله هو مر يمر (بضم الميم) ويمر (بفتحها عن ثعلب) مرارة فهو مرير ومر .

المرار ، المرات ، المر ، المرر ، المرور

ويخطئون من يجمع المرة على مرار ، ويقولون ان الصواب هو : المرات ، وكلا الجمعين صحيح . فممن جمع المرة على مرار (بكسر الميم) : الصحاح ، والاساس ، والمختار ، واللسان ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

وتجمع المرة ايضا على : مر (بفتح فتضعيف) ، ومرر (بكسر ففتح) ، ومرور (بضم الميم) .

وللمرار معان اخرى ، منها :

(أ) جاء في النهاية : (وفي الحديث « انه كره من الشاء سبعا : الدم ، والمرار ، وكذا وكذا » المرار : جمع المرارة ، وهي التي تجاور كبد الانسان والشاة وغيرهما ، يكون فيها سائل اخضر مر) . وفي الهروي واللسان وردت ميم (المرار) مفتوحة .

(ب) المرار : جمع مر ومرير .

(ج) الحبل او الحبال ، ومفردها : المـــر (بفتح فتضعيف) .

(د) المرار : الانجرار ، واصله الفتل . وفعلها مار (بتضعيف الراء) الشيء نفسه مرارا .

مرة ومرة ، مرات

ويخطئون من يقول : زرت مدينة القدس مرة ومرة ، ويقولون ان الصواب هو : زرت مدينة القدس مرتين ، ان اردنا التثنية ، او : زرتها مرات ، ان اردنا كثـــرة الزيـــارات .

ويرى الاستاذ عباس حسن في الجزء الثاني من المجلد السابع والاربعين ، من مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، في الصفحة ٤٨٩ ، ان التعبير عن الكثرة بقولنا : مرة ومرة ، صحيح فصيح مع التكرار بعطف او بغيره ، كما نص على هذا النحاة في باب الحال من مطولاتهم ، عند الكلام على الحال الدالة على الترتيب ، او الاستيعاب .

وانا أؤيد ما قاله الاستاذ عباس حسن تأييدا تاما .

راجع كتاب (الاقليد) ، وما نقلته حاشية الآلوسي على شرح القطر ، صفحة ٨٠.

المارستان (بفتح الراء وكسرها)

ويطلقون على مستشفى المجانين اسم مرستان (بضم فضم) والصواب : هو المارستان (بفتح الراء وكسرها) ، ومعناه المصحة او المستشفى .

وهذه الكلمة فارسية ، اصلها بيمارستان ، وهي مركبة من (بيمار) اي مريض ، و (أستان) اي مأوى كما يقول التاج .

فممن ذكر المارستان (بفتح الراء) : ابن السكيت ، والصحاح ، والمختار ، واللسان ، والقاموس ، والتاج ، والمـــد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتـــن ، والوسيط .

وممن ذكر المارستان (بكسر الراء) : الصحاح ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن .

وجميع هؤلاء قالوا ان كلمة المارستان (بفتح الراء وكسرها) هي معربة ، وتجمع على : مارستانات .

وجـــاء في المتن : عرف في الزمن الاخـــير باسم المستشفى ، اي محل الاستشفاء .

أمرع الوادي ، مرع (بضم الراء وكسرها وفتحها)

ويخطئون من يقول : مرع (بفتح الراء) الوادي : اخصب بكثرة الكـــلأ ، لان الصحاح ، والاساس ، والنهاية ، والمختار ، والمصباح ، والمد ، واقرب الموارد ، والوسيط لم يذكروا الفعل : مرع .

ولكـــن :

ورد ذكر الفعل (مرع) بفتح الراء في ادب الكاتب (باب فعلت وأفعلت باتفاق المعنى) ، ومعجم مقاييس

اللغة ، واللسان ، والقاموس ، والتاج ، ومحيط المحيط ، والمتن . وهنالك ايضا :

(أ) أمرع الوادي : ادب الكاتب (باب فعلت وافعلت باتفاق المعنى) ، والصحاح ، ومعجم مقاييس اللغة ، والاساس ، والنهاية ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

(ب) ومرع (بضم الراء) الوادي : الصحاح ، والنهاية ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن .

(ج) مرع (بكسر الراء) الوادي : الاساس ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

لقد ذكر اللسان الفعل مرع (بفتح الراء) ، لكنه جاء فيه : « قيل : لم يأت مرع (بفتح الراء) » .

المرون (بضم الميم) ، المرانة (بفتحها)

ويقولون : مرن (بفتح الراء) فلان على المشي مرونة (بضم الميم) جعلته يعمر طويلا ، اي : تعود على المشي واستمر عليه. ويعتمدون في قولهم هذا على متن اللغة ، الذي قال : مرن (بفتح الراء) على الشيء يمرن (بضمها) مرنا (بفتح فسكون) ، ومرنا (بكسر فسكون) ، ومرانة ، ومرونة ، ومرنا (بضم فضم) : ألفه فدرب فيه ، وتعوده ، واستمر عليه (ارجح ان هناك خطأ في المصدر الاخير) وصوابه : مرونا (بضم الميم) . والحقيقة هي ان الصواب هو : مرن عليه يمرن (من باب نصر) مرونا (بضم الميم) ، او مرانة (بفتح الميم) ، اعتمادا على ما قاله ابن سيده ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد .

واكتفى معجم مقاييس اللغة بذكر المصدر (مرون) .

وللفعل (مرن) معنى آخر هو : لان في صلابة ، فنقول : مرن الشيء يمرن مرانة ومرونة كما جاء في الصحاح (اكتفى بمصدر واحد هو المرانة ، ثم قال : المرانة اللين) ، والاساس (زاد مصدرا ثالثا هو : مرونا) ، والمختار (قال كالصحاح) ، واللسان ، والقاموس ، والتاج ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد (الذين زادوا جميعهم المصدر : مرونا) ، والوسيط .

وهنالك خطأ انفرد به « متن اللغة » حين قال : مارن الامر : مارسه حتى اعتاده وتدرب عليه . وليس في اللغة الا مارنت الناقة مرانا (بكسر الميم) وممارنة ، فهي ممارن (بكسر الراء) ، اي : ظهر انها لاقح ، وليست بلاقح ، كما جاء في اللسان ، والقاموس ، والتاج ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والوسيط الذي يقول : مارنت الناقة (فاعل مارن) : انقطع لبنها .

مروزي (بفتح فسكون ففتح)، مروي (بتسكين الراء وفتحها)، مرووذي (بضم الراء الثانية) مروذي (بفتح فتضعيف)

مرو (فتح فسكون) بلد بفارس ، يقال له ام خراسان ، افتتحه حاتم بن النعمان الباهلي ، يخطئون من ينسب اليه بقوله : مروي ، ويقولون ان الصواب هو : مروزي (بفتح فسكون ففتح) على غير قياس . والحقيقة هي ان النسبة الى مرو الشاهجان (هنالك مرو اخرى في خراسان) ، هي :

(أ) مروزي (بفتح فسكون ففتح) : الصحاح ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، وهمع الهوامع للسيوطي ، والتاج ، ومحيط المحيط ، ودوزي ، واقرب الموارد ، والمتن (لم يضبطها بالشكل) .

(ب) ومروي (بتسكين الراء وفتحها) : اللسان ، والقاموس ، والتاج ، وهما نسبتان الى البلد (مرو) ايضا .

(ج) ومروي (بفتح فسكون) نسبة الى الثوب المصنوع في مرو : لحن العوام للزبيدي ، والصحاح ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والتاج ، ومحيط المحيط (وبفتح الراء ايضا) ، ودوزي (وبفتح الراء ايضا) ، وانشد ابو علي لبعض الاعراب :

وثوبين مرويين في كل شتوة فقلت : الزنا خير من الجرب القشر

وهنالك مرو آخر في خراسان ، يقال له : مرووذ (بفتح فسكون ففتح فضم) ، ويسمى هذا البلد ايضا مروذ (الراء مضعفة مضمومة) ، والنسبة اليهما : مرووذي ، او مروذي (براء مضعفة مضمومة) كما يقول المصباح والتاج (مروذي « بتضعيف الراء المضمومة » نسبة الى مرو الروذ) ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن (الذي اخطأ حين ذكر ان النسبة الى مرووذ هي : مروارذي بدلا من مرووذي) .

ماروني

ويطلقون على من ينتسب الى القديس المسيحي مارون ، اسم موراني ، والصواب : ماروني ، لان النسبة هي الى مارون ، لا الى موران .

ويجمع الماروني على مارونيين وموارنة ، وهم طائفة من النصارى على مذهب الكنيسة الرومانية .

ويجيزون قول مورن (بفتح فسكون ففتح) فلان وتمورن ، اي اتبع الموارنة .

محمد العدناني

بيروت ــ شارع الجامعة العربية
بناية الاسكندراني رقم ٣

الشاعر احمد علي حسن

بقلم اسماعيل عامود

* * *

اذا كنت في الطريق من دمشق الى اللاذقية ، وقد ادهشك منظر البحر المفاجىء المغبش بالزرقة الشفيفة ، المعجونة بالرماد الرقيق والمدى الملون الهائل المبقع بنقوش الغمام الراحل ابدا الى الشرق في موكب الارجوان العاشق .. فانه لا بد وان يعتريك الفرح وانت تنعطف ــ وانت في الحافلة ــ عبر سهوب مزوقة بالخضرة النامية الى اليمين في اتجاه الشمال ، والبحر الى يسارك تمسك بشريط الساحل من اول مفرق مرح .. يدخل بك مدينة «طرطوس» هذه المتفتحة كزهرة الجلنار علـى البحر تفتر سعيدة بزائرها المفتون بالحسن ، المسكون بالعشق والوفاء .

ــ لا عليك ، ان كنت حقا مـــن المولعين بالشعر والادب ، فانك لـــن تلوذ بفندقك للراحة . فــلا راحة لك في مثل هذا الموقع ما دامت المدينة مليئة ، وتصخب بالحركة الثقافية ، وتزخر بالرجال والنساء المولهين بالفنون الادبية الجميلة . وستعرف بعد ساعات قليلة ان في كل مدن وقرى محافظة طرطوس ، حتى الجبال المطلة على البحر الابيض نزوعا الى الشعر واهتماما بالادب قد لا تجدهما في ربوع اخرى .

ــ على رسلك ، برهة ، ويكون من ابرز شعراء المدينة اليوم الى جانبك يدعوك ويهتم بك ، كأنه يعرفك من زمن بعيد وتعرفه حتما ، ذلك لان لطبيعة هذه البقعة من سورية تأثيرا في تنمية الانسان وتطبيعه بالحنان والكرم والاخلاص والعذوبة ، ثم تغذيته واغنائه بالمواهب ، الى جانب وجود حركة ادبية حديثة ظهرت تباشيرها وطلعت بواكيرها منذ ربع قرن مضى او قبل ذلك بقليل .

أجل ، سيهتم بك شاعر رعيلي ، فيستقبلك بحفاوة عالية ورقيقة .. انه الشاعر الاستاذ الشيخ (احمد علي حسن) صاحب القامة العربية السمهرية والتقاطيع العميقة الهادئة والحديث الرصين المركز .. حتى اذا انتهى بكما الجلوس في بيته العامر او في بيت احد الاصدقاء المحبين سيتجه بكما الحديث لا محالة وبشكل عفوي او بآخر الى الشعر والادب في مسيرتها الماضية والراهنة لا في هذه الربوع بــل وفي سائر جهات الوطن العربي الكبيــر ، وستتعرف على منطلقات الحركة الشعرية الاولى في هذا القرن وبدء نشوئها الحديث وتطورها المعاصر في هــذا الاقليم الجميل من الساحل العربي السوري ، وكيف بدأ « احمد » حياته الشعرية والادبية ؟ وستقرأ بواكيره تلك التي لا ينفك يعتز بها ويرددها بين وقت وآخر بعد اربع مجموعات شعرية :

أيها الصبح أما حان السفور   خيم الليل علينا والظلام
عهدي الليل بـه تجلى البدور   مـا لليلي قـد تفشى بالقتام
أفل البدر ولم يعقب سنا   وتوارى النجم بـين الظلمات
ورياض الحسن أذواها الضنى   بعدمـا ازدانت بمخضل النبات
عبثت فيها الدواهي ، ودنـا   حولهـا عصف الرياح السافيات
وقضى البحـر عليـه بالدثور   وناه (النؤي) هجرا و (التمام)
وظبي الانس عدت عنـه نفور   مـذ تبـدا سبسبا ثم حطـام
يا فؤادي ، اغد قتيلا بالهوى   وشروط الحـب ان تغدو قتيل
كـل من قـد آده غير النوى   ليس يدري ما هو الخطب الجليل
من مجيري ؟ خار عزمي والقوى   وفؤادي يشتكي الهجر ، عليل
أمن العدل ؟ على الصب يجور   بالجفا ، والصب مقتول الهيام
انـا في الحب شقـي وأسير   أحلال فك أسري ؟ أم حرام(١)

والمقاطع هذه من قصيدة كان نظمها في الثلاثينات مقلدا فيها الموشحات شأنه هنا ، شأن اي شاعر او فنان يبدأ بالتقليد والنسج على نول السلف ومحاكاة ما تركوه من اعمال ممتازة للاجيال التالية .

لا تطمعي ، انا لست بالمفتون   حبا ولست بذي هوى وشجون
ان كان غرك ما ترين من الضنى   فلكم خدعت بـه ذوات الهين
وهزال جسمي لـم يكن بمعبر   عـن لوعتـي وغرامي المكنون
واذا لست مـن الفؤاد تدلها   فكم اصطنعت بمثل ذاك جنوني
لا النهـد الابكـار تطربني ولا   سحـر العيون وغنجها يشجيني
والعين ، كم رقصت خيال وصالها نفسي ، تود بـه خداع العين
واريت من مرض الجفون علالتي   وملأت من سحر العيون عيوني
هيهات تخترم السفاسف خاطري   هيهات رعنـاء الهوى تثنينـي
ولأبلونك في غرامك جنت في ..   هذي الخلاعة يا ابنة العشرين
والآن قد رفع الستار وأظهرت ،   صور الحقائق ، فاذهبي ودعيني(٢)

ــ انها هموم شاب في العشرين من عمره ، وكما يتجه الشباب الى دخائل النفس للبحث عن الذات وتفاعلها مع الحياة الخارجية ، ولامكانية سبر انفعالاتها وانعكاس هذه الانفعالات على الاوضاع والتبدلات التي تمر خلالها حياته في الواقع الراهن ، وبالتالي رصد المؤثرات والمحرضات الشعورية في المناخ الانساني الذي توضع فيه همه ومختلف مشاكله الاولى .. فان احمد علي حسن اخذ في بداياته الشعرية يكشف ويحاور ما انتابه في داخل نفسه مـــن انفعالات ازاء العالم الخارجي الذي احاط بـــه ، لعله يتخلص من الاسى ومن الضيق حيث كانا يساورانه .. فأعلن عدم استسلامه الى المغريات السرابية او خضوعه الى المؤثرات ــ الفارغة التي من ظواهرها البراقة الخداع، ثم التسيب ، فالضياع .. انه رأى نفسه ــ وان كانت هذه النفس في بدايات تفتحها تستجيب لاي نداء ، يجذبها الى الهوى ــ وكأنها لا تتقبل الاشياء التي من شأنها ازاحة المرء عن عنفوانه وكرامته ومبدئه السليم في الحياة المثالية .

كذلك وجد أحمد ان القضية التي هيأ نفسه لخدمتها في مجال شبابه ، الا وهي الارتفاع بالمشاعر الانسانية عن

السفاسف ، والدخول بتلك المشاعر الى ميادين اجدى وانفع وانبل غاية ومرمى ، هي أمله الملح وأمنيته الغالية التي يرغب تكريس شعره لها او لاجلها .. ولكن قد يقول قائل : ان الشباب ومعه الفن لا يغذيه او ينميه ويشهره سوى خفقات القلب ، وولولات الروح ، وانفعالات الجسد ورعشاته تجاه محبوب انثوي جميل يحرض على البوح عن مكنونات الاعماق التي يختزنها المرء — غريزيا ، امام الجنس الآخر فتخرج ترانيم على الشفاه او عبارات على الورق او اشكالا على اللوحة .

لكن ثمة مغذيات واسباب اخرى في الحياة او في العالم الذي يحيط بنا يمكن لها ان تكون سببا في جعلنا شعراء وفنانين مبدعين ، الا وهي « الانسانية » ذاتها ، او الفقر ذاته ، او المرض ذاته ، او الاحتلال الاستعماري او الاستغلال ، ثم الرياء وعدم الامانة ، والقتل عمدا ، ونهب خيرات الشعوب الضعيفة ، والحروب .. الى آخر السلسلة البشعة .

والشاعر « احمد » من اولئك الذين نمت مداركهم وترعرعت مشاعرهم على حب الخير والحق والجمال .. ان الحب عنده ليس التغزل بمقاطع الجسد واظهار مفاتن الاعضاء والارتماء في احضان الغانيات . انه غير ماجن يتلهى ويقضي وقته في العبث والمرح المفلوش .. انه من جيل مقهور عانى من الضنك والفاقة والاحتلال في يفاعته حالات جعلته رجلا مخلصا ورقيقا وانسانيا ينظر الى الامور بجدية وصفاء وروية ، ولكن ضمن بؤرة يكتنفها الحزن ، والاسف ، والشقاء :

كلما حاولت أن أدفعه ساقني الدهر اليه ورماني
فكان الله قد أوجدني من شقاء ومن البؤس براني
انشد الحظ فالقى عكسه .. ليت أدري أي شيء أنا جاني
يا الهي ما الذي أوحشني ما الذي عذب نفسي وشجاني
لم أجد في الناس مثلي يائسا ويعاني مثل ما بت أعاني
ملني الاخوان والصحب ولم يبق لي الا شقائي وهواني
أتغنى بالاماني ، فاذا شئتها غابت عن القلب الاماني
أي شيء يا أخي صيرتني من بني الانسان مفقود الحنان
غال غادي البؤس والوجد شبابي وتحداني الاسى قبل أواني
ففدا طرفاي ينتابهما مضض العيش ، زماني ومكاني
هكذا يكتسح الدهر حياتي .. وسنوني عشرة بعد ثماني(٣)

وكبدايات ، اخذ الشاعر ، وهو فتى ، يعب من ينبوع القهر والشقاء النفسي ، ويجسد احزانه وقلقه في نتاجه الشعري يتعلل بالاماني لعله يجد فيها ضالته ، ويصل الى الراحة ، ولكن تلك لم تحقق له ما اراد ، وما كانت في يوم من الايام ولدى جميع الناس بمجدية البتة — تلك الاماني — وماذا باستطاعة شاب مثل احمد علي ان يفعله تجاه واقعه وتجاه طموحه وطريق المستقبل غير مكشوف امامه ؟ ! وهو ابن الريف المحدود الامكانيات ، بل وابن دسكرة نائية في الجبل لم تكن قد وصلت اليها بعد اية نهضة تحمل معها الثقافة الحديثة والادوات التي اخترعها العالم الجديد لتقدم الانسان وراحته وتأمين لوازمه بيسر في مجالي الاقتصاد والحياة الاجتماعية التنظيمية وغير ذلك .

ولذا نراه يتخذ من همومه الذاتية واموره الشخصية البسيطة طريقا للتعبير عما يختلج في اعماقه من مشاعر تجاه وضعه الرديء الكئيب ، فيغمر بوجه الشاكي في جو رومانسي شاحب مثله مثل اولئك العاطفيين الخياليين الذين وجدوا في مزج العاطفة بالخيال ثم الاسى والكآبة رؤيا تصلهم بالواقع المر الذي يعيشون في كنفه حزانى ، تشع في اعماقهم اشعاعات الامل الضئيلة لعلهم يطمئنون ويرتاحون من عذاب ما هم فيه من صروف وأرزاء ... ولما كان « احمد » يحمل في جنبيه احساسات شاعر قلق وحزين ، فانه يتجه الى الشعر بهذا السؤال الحائر لعله يشفى ويجاب الى طلبه :

أي شعر ساصطفيه لنفسي وأرى الشعر ، وهو علة بؤسي
جذوة تحرق النفوس ، فما أعبر ياسا هناك الا ليأس
ومريض فتى القريض ، وقد يعدم من زاول القريض المؤسي
أي قيثارة القريض تغني أملي في الورى وتوقظ حسي
نشرتني الايام شلو هموم مبهم الحال رغم فحص وجس
لا تكن مؤنسي اذا اضطرب القلب ، ففي وحشتي ساطلب انسي
ولبالي .. آه ما مر في عيني ليل صفا بيومي وأمسي
يا قريضي أأنت درب نعيمي أم أراني سعادتي فيك نحسي
لا تلمني فما أتيت بزرعي يا قريضي ، وما أقمت بغرسي
مثلما كنت في الطفولة مهدي كنت يا شعر في الشبيبة رمسي(٤)

(ان الالم الذي يصهر النفس ليجعل منها نورا صافي الذرات ، الالم الذي يخلق الرجولة الكاملة ، كما قال الشاعر لامارتين في بعض قصائده ، هو الذي اوحى الى شاعرنا احمد علي حسن هذه القصيدة الرائعة التي حلق بها او حلقت به الى سماء الخلود) — (بهذه الكلمات قدمت جريدة « صوت الحق » التي كانت تصدر في مدينة اللاذقية عام ١٩٤١ هذه القصيدة) .

— اجل انه الالم الذي جعل احمد شاعرا يلتقط ادق الاحاسيس ليرسلها شعرا عذبا يطمئن القارىء اليه .. وكذلك ، فان البيئة البسيطة وبالتالي حياته الذاتية — في محيطه القروي الجميل ادتا به الى ان يكون فنانا في شعره يسكبه بعفوية وطلاقة في قوالب جميلة ومنسجمة مع الموضوع ، ويرسله بعذوبة وغنائية سلسة وهادئة .. فلقد كانت منابعه الاولى للشعر ، الفطرة ، هذه الفطرة التي تسلسلت في اسرته وبيئته وتقدير الناس لها في محيطه .

كان والده — رحمه الله — ينظم الشعر ، وكذلك جده .. وشقيقه ، وهكذا نجد ان الشعر تسلسل في الاسرة التي ينتمي اليها منذ خمسة جدود والى اليوم ، بالاضافة الى ان المحيط الذي ربي في دائرته كله يحب الشعر والادب ، وقد نبغ فيه شعراء عرفوا على مستوى مناطقهم ، من هنا ، من هذا المحيط الذي عاشر اهله نشأ احمد علي حسن محبا للشعر وتأصلت علاقته به ، وبخاصة تشجيع والده

له والذي كان يرغب ان يكون ولده شاعرا يكسب محبة الناس وتقديرهم مثل باقي الشعراء .

ودرج الشاب على تقليد من يقرأ لهم من شعراء محيطه واسرته ، لانه لم يكن يعرف غيرهم ولم يسمع بغيرهم ، ومن اين له ذلك وهو ابن دسكرة نائية لا يزيد عدد سكانها على العشرين شخصا ، وبصورة اوضح ، ليس فيها من الاهلين غير والده واعمامه وابنائهم فقط ، ولا يوجد فيها من الكتب ما يرفع بسوية الطالب المبتدىء من امثاله . انه لا يعرف في بداياته غير ديوان لشاعر متصوف اسمه (عبد الرحيم البرعي) وكتاب صغير اسمه (دلائل الخيرات) وهو عبارة عن مجموعة ادعية وابتهالات .. وغير ذلك ، فقد قرأ بعض مجموعات مخطوطة لشعراء محليين في منطقته ، هذه هي كانت مكتبته .

ومنها كانت المنابع الاولى التي استقى منها ثقافته الشعرية ، لكنه وبعد ان شب عن الطوق واصبح يتذوق الحرف كان يستعير ما هو موجود من الكتب عند اعمامه واقربائه ، فقد قرأ بطريق الاعارة ديوان « الشاب الظريف » و « مجمع البحرين » لليازجي و « مجاني الادب » لليسوعيين ، اضافة الى ذلك ، انه تأثر ــ الى جانب جو القرية والجبل ومظاهر الطبيعة الخلابة فيه ــ بما كان ينظمه شعراء محيطه من مدائح نبوية واشادة بفضل الائمة . هؤلاء الشعراء المشايخ امثال : (عبد الكريم محمد ، ومحمد محمود قفول ، ونجم الدين احمد سليمان) الذين كانوا شعراء عصرهم في المنطقة وكان احمد علي حسن يلاحظ ان معالجي الشعر وممارسيه من حولهم يقبلون عليهم لعرض انتاجهم ويطلبون اليهم التصحيح والتنقيح .

وعندما صار يقرأ لمن هم خارج محيطه وجد نفسه يتأثر بالشيخ (سليمان الاحمد) ــ متوفي سنة ١٩٤٢ وهو والد الشاعر العربي الكبير بدوي الجبل ــ محمد سليمان الاحمد ، والشاعر الدكتور احمد سليمان الاحمد ــ ويتأثر بالشيخ يعقوب الحسن وحسين سعود وغيرهما من شعراء الجيل السابق .. وتشاء الظروف ان يترك احمد علي حسن دسكرته وينزح الى مدينة (طرطوس) ملتحقا بأحد اخوته الذي كان قد نزح اليها ــ الى المدينة هذه ــ بقصد العمل ، وفيها يتعرف على ادباء وفي طليعتهم الاستاذ الشاعر (محمد المجذوب) (٥) .

ــ في العام ١٩٣٦ م ــ ١٣٥٥ هـ وبدافع الجوع الادبي الذي كان يساور الشاعر احمد بدأ بنشر شعره ، فقد كان يتمنى ان يجد اسمه مطبوعا على صفحات المجلات والجرائد ، وكانت تصدر في (القاهرة) مجلة دينية فكرية اسمها (هدى الاسلام) فاشترك بها في طرطوس بواسطة متعهدها السيد مصطفى طايع ــ صار بعدئذ متعهدا لمجلة « الاديب » في الاربعينات وبعدها ــ فنشر احمد اولى اعماله ، فكانت فرحته لا تحد ، ثم نشر في جريدة « القبس » الدمشقية التي كان صاحبها ويرأس تحريرها الصحفي المشهور المرحوم (نجيب الريس) ومما نشره احمد علي ، مقال يشرح فيه تمسك ابناء جبال اللاذقية بالوحدة السورية يوم كان الفرنسيون يحاولون فصل المنطقة عن الام سورية .

وفي العام ١٩٣٧ صدرت مجلة في طرطوس اسمها **(النهضة) لصاحبها الدكتور « وجيه محيي الدين »** خريج المعهد الطبي في دمشق ، فكانت هذه المجلة وسيلة جيدة **لمثابرة الشاعر على الكتابة ونظم الشعر** ، وخاصة وان رئيس تحريرها كان الشاعر الاستاذ (حامد حسن) الذي شجعه بدوره على المضي في هذا المجال .. وكذلك فقد اخذ يستمر بالنشر في مجلات وجرائد عديدة في (التمدن الاسلامي) و (الصباح) في دمشق (الاولى رئيس تحريرها احمد مظهر العظمة ــ وما يزال ــ والثانية كان صاحبها ورئيس تحريرها الاستاذ عبد الغني العطري ــ وهذه المجلة توقفت عن الصدور منذ العام ١٩٤٣) ، ثم في (المكشوف) و (الشمس) في بيروت . و (الخبر) و (الرغائب) و (صوت الحق) في اللاذقية .. ثم (الايام) و (النصر) في دمشق ايضا .

لقد كان « احمد علي حسن » يجد المرحلة التي بدأ منها في نشر اعماله الشعرية مرحلة انبعاث ادبي(٦) وتكوين شخصية ادبية يحلم بها ويتطلع اليها ، وكانت نظرته الى احداثها نظرة المتفائل الذي يعيش طموحات يرى الطريق اليها تكاد تكون مسدودة وفي نفسه احلام وآمال يتمنى ان يحقق شيئا منها .. فهل كان له ذلك .. ؟

ويجيبك على هذا السؤال اليوم : انه يعترف ان الشعر المعاصر فيه من الاخضرار ما يجعلنا نعيش الربيع بأزاهيره ولكن غير المتأججة المتأرجة فهي اشبه ما تكون بالازاهير الاصطناعية فيها الجفاف وفقدان الشذى ، اما الفن ، فقد فقد نكهته الخاصة وطعمه اللذيذ منذ اصبح حرفة للكسب لا منطلقا للنبوغ وخدمة الفكر .

ولكن ، ومن خلال استقراء واستعراض سيرة الشاعر ، والتي دلتنا الى انه عاش في بيئة بسيطة ريفية متمسكة وغير متعصبة وانه تربى في ظل بيت رصين وشب في محيط محافظ .. هل بقي يراوح .. أم انه انطلق بمشاعره خارج عالمه الاول هذا ؟ بمعنى آخر ، هل كانت للاجواء الاخرى : الغزل ، التشبيب ، حصة في اعماله ؟ وهل اثارته المرأة ؟ بدليل هل أحب ؟ والا ما هو هذا الشعر المبلل بالقبلات تنشره مجلة « الصباح » الدمشقية عام ١٩٤٣ :

قربي ثغرك من ثغري ولا ... ترشفي الا بقايا قبلاتي
يذهب العمر ولكن حبنا ... لم يزل يحلم في روض الحياة
سائلي خدك من لونه ... فهو مثل الفجر ضاحي القسمات
مر بين الزهر عطرا وشذى ... فهو عطري الشذى والنفحات
كلما لاح لعيني سحره ... نازع القلب عليه نظراتي
قربي ثغرك مني .. وخذي ... قبلا ترشح بالنار ، وهاتي
نحن والحب صفيا حلم ... رف ملء النفس حلو الخطرات

قبل الحب ، وما أعذبها من شفاه بالهوى مضطربات الفوايات ، وما أكثرها تتمشى ملء أحلام الفواة

في الحقيقة ان للشاعر موقفا من المرأة كان ، انه بدأ يجوب عوالم المرأة ويستجدي التقرب منها ويطلب اليها ان تبعث بخيالها ــ على الاقل ــ اليه ، انه انقلب عن حياة الاسى والشجن الى حياة ربما تكون ــ او كانت ــ اكثر فرحا واوسع مدى ليتنفس الشاعر عبرها :

أعيدي الى عيني خيالك واسكبي طيوف الهوى حتى يغص بها جفني
ساقطع هذا الليل في زورق الكرى وانشد ذاك الفجر في شاطىء الحسن
وأترك للاحلام حبي وصبوتي لانك في الاحلام دنيا من الفن
رفعتك حتى لا أرى لك هيكلا سوى ما أراه في خيالي وفي ذهني
أيعرف هذا الورد من رش فوقه عبيري ، ومن في الحب لونه مني
أيعرف هذا الفجر من ذر فوقه ضيائي ، ومن للحسن أرسله عني
وما بي شوق للنسيم لو انه سواك ولا ميل لهينمة الغصن(٧)

فكما انه لا توجد طريقة في الفن فكذلك لا اقليمية له ، فالانطباعات الخاصة التي تؤلف من كل عنصر أمة ، كما يقول بذلك الاقليميون تتداعى امام عالمية الفن وذلك لان الفن يرتد الى طبيعة الانسان الاصلية ، فهو قد يختلف في اللون والشكل ولكنه لا يختلف في الجوهر والصميم ، فالشاعر يمثل في شعره ذاته ، وفي ذاته أمته ، وفي أمته العالم . انه هذا الاحساس الذي يعيش به الانسان في كل زمان وفي كل مكان ، انه هذا الاحساس الذي ضاعف من انسجامه تقارب الحضارات(٨) .

هكذا كان ينظر الى الشعر كفن خلال مرحلة جيل احمد علي حسن في مطالع شبابه .. ولذا فقد تبين لنا من خلال استعراض شعر الشباب السوري في المرحلة ذاتها ، ان اكثر الشبان كانوا يعيشون حياة رومانتيكية استدعتها ظروفهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، انها حالة (الم العصر) كما قالوا او يقولون ، بحيث استفاق هؤلاء على حطام قرون متراكمة رأوا انفسهم يرزحون تحت عبئها الثقيل ، وقد ضاعف في ذلك ان المثقفين السوريين والمناهج الدراسية الموضوعة تأثرت بالادب الفرنسي وبخاصة بين الحربين الكونيتين (١٩١٨ ــ ١٩٤٥) ذلك الادب الذي اتصف بالتجرد من العمق وبالتالي من القوة في مجالاته العاطفية والارادية لانه لم يرجع في تأسيسه الى جذور فلسفية كالادب الالماني مثلا .. لذا كان لفكتور هيغو ، والفريد دى موسيه ، والفونس ده لامارتين وغيرهم من الرومانسيين ــ ومن ثم للرمزيين الفرنسيين كبودلير ورامبو وفرلين ومالارميه تأثير ان لم نقل « سيطرة » كلية على حياة الشباب السوري . الاول ــ الرومانسي : عن طريق البكاء . والثاني : ــ الرمزي عن طريق الاستمتاع ، فتآلف من هذين الطرفين مزيج سداه ولحمته نكران الحياة في فناء لا سبيل معه الى خلق موفور او بالاصح حالة مهلهلة رخصة رخوة في الحياة الفردية والحياة الاجتماعية .

وكنت اذا قرأت لشاعر لم يذكر توقيعه في آخر القطعة ظننت انها لآخر ، فكأن مصدر التحريض للشاعر واحد ، حتى في الشعر الغزلي الذي يصف حالات الشغف التي ترتكز على الثغر ، الضم ، الذوبان في مرجل الهجر ، النواح في الليل المدلهم ، شم الذكرى في هيام يقطع الحجر .

مع هذا كله ماذا نطلب من شاعر انبثق من بؤرة قديمة النزعات يسيطر عليها الاجنبي . ومحافظة . ؟ ماذا نطلب منه اذا تمرد على وضعه وضد قوى ما .. وهو لا يملك اداة ينفك بواسطتها من حصاره ؟ ! فلاذ بالاشواق يحيا بها حياة صب في هوى اول . كما اتخذ من الحبيبة المتوارية في المخدع المتواري سببا لتمرده وقلقه وضياعه ؟.

لقد كان الشاعر احمد علي حسن ــ وما يزال ــ ينتجع في هذا المناخ الرومانسي ، مع تغيير ــ في بعض المواسم ــ لجغرافية المكان والينبوع بحثا عن مصادر شعرية ، ومساقط فنية تغذي شعره وتطوره باتجاه الافضل والى الحداثة .. انه يحاول ، وفي كل مرة يصدر فيها ديوان شعر مطبوع له(٩) يتراءى لك اخلاصه لنسيجه الشعري المستمر ، يقابل هذا الاخلاص دأب الشاعر على الانتاج بقدرات عالية وهمة وجلد على مواصلة السفر اللاحب في عالم الشعر (المقفى) ، .. وبامكانياته وطاقته ــ وهو ــ اي الشاعر احمد ــ العصامي الذي يمكن اعتباره من النماذج الحية للاجيال .. ولمن يرغب في ان يكون صاحب شأن في الادب والشعر وباقي الفنون الجميلة .

---

(١) ــ نشرت القصيدة في ديوان « العقد النظيم » الذي قام بنشره الشيخ « عبد الرحمن الخير » والقصيدة هذه نموذج من شعر الشاعر في العام ١٩٣٧

(٢) ــ نشرت بعنوان « لا تطمعي » في العدد (٢٢) من جريدة «الخبر» في اللاذقية عام ١٩٣٧

(٣) ــ قصيدة « الشقاء » نشرت في العدد (١٨) من جريدة « الخبر » في اللاذقية عام ١٩٣٧

(٤) ــ نشرت بعنوان « يا قريضي » في جريدة « صوت الحق » في اللاذقية ــ عدد حزيران عام ١٩٤١

(٥) ــ الاستاذ (محمد المجذوب) يقيم اليوم في « المدينة المنورة » كمدرس للادب العربي في الجامعة . وكان في طرطوس سورية استاذا للادب في ثانويتها . نشر انتاجه الادبي من شعر ومقالة وقصة في مجلة (الاديب) خلال الاربعينات والخمسينات وما يزال ينشر اعماله في الدوريات العربية ــ عصامي من الطراز الاول ــ حيث عمل في بدايات حياته في اعمال شتى كالحلاقة ــ وقد تخرج على يده الكثير من ادباء وشعراء القطر السوري الحاليين .

(٧) ــ مجلة « الصباح » دمشق ــ العدد (٨٠) يوم الاثنين ــ ١٦ آب ١٩٤٣ ــ ١٥ شعبان ١٣٦٢ هـ.

(٨) ــ مجلة « الصباح » الاستاذ نسيب الاختيار ، العددان (٧٢) تاريخ ١٩٤٣/٦/٧ و (٨٥) تاريخ ١٩٤٣/٩/٢٧

(٩) ــ مجموعاته الشعرية المطبوعة (الزفرات ، أنداء وظلال ، نهر الشعاع ، قصائد مضيئة عام ١٩٧٩ عن اتحاد الكتاب العرب في دمشق بالتعاون) وهذه المجموعات بحاجة الى دراسة وتدل جميعها على امتلاء شعري مقبول وجيد ، والشاعر احمد اليوم عضو في اتحاد الكتاب العرب في سورية .

دمشق — اسماعيل عامود

الفريق الدكتور امين المعلوف

بقلم علي حيدر النجاري

* * *

في تاريخ اللغة العربية صفحات مشرقة تتميز فيها مفرداتها بأنها واكبت سير الحضارة فلم تتلكأ ، وما رأيناها قط جاثية عند مرتفع الطريق ، بل منتصبة تتابع سيرها ، وتسرع الخطى كيما تكون مع العلم والمعرفة على الصراط السوي . ونحسب انها في ذلك الاتجاه ، وفي عصرنا التقني هذا ، لتكاد تبلغ الغاية المتوخاة .

ولعلمائنا وبوجه خاص العارفين منهم بقواعد اللغة العربية ومفرداتها ، الفضل الاكبر في تطوير لغتنا العقيدة وتعميم المسميات العلمية العربية بين مواطنيهم . وآية تطورها ، وروعة تعميمها ، ما نراه من كلمات علمية عربية ضمن نتاج اعضاء المجامع اللغوية وبعض اساتذة العلوم الاساسية للجامعات العربية ، وكثير من الافراد العلميين المنبثين في شتى اقطار العرب . هؤلاء جميعا ينبغي ان يذكروا ويشكروا .

ونحن الآن ولم يبق سوى عام على انقضاء الخمس الاول للربع الاخير من القرن العشرين ، خليق بنا ان نشيد بمن وضع حجر الاساس او اللبنات الاولى في هذا الصرح اللغوي العلمي الشامخ ، وهم قلة في مستهل قرننا والربع الاول منه ، وقد استمر بعضهم في نشاطه طيلة النصف الاول(١) . والقسم الاكبر منهم عليهم شآبيب الرحمة ، اما من بقي فلا يتجاوز في العد اصابع اليد الواحدة واننا لندعو لهم من اعماقنا بطول البقاء ودوام العافية(٢) .

امين المعلوف

ان ممن صرفوا الهمة وبذلوا الجهد في ايجاد كلمات علمية عربية ان مترجمة او معربة لمسميات علمية في احد فروع علم الحياة — البيولوجيا — وفي بعض العلوم الاخرى كما سنذكر ولم يشر اليه الباحثون الا لماما ، العالم العربي الاصيل الفريق الدكتور امين باشا المعلوف ، صاحب معجم الحيوان ، الكتاب الذي سوف نقف عنده قليلا .

وفي اسرة المعلوف في عصرنا هذا رجال اعلام اشتهروا في الادب وفي اللغة نذكر منهم الفقيد الشاب الشاعر المبدع فوزي (ت ١٩٣٥) صاحب ملحمة على بساط الريح وشقيقه المرحوم شفيق (ت ١٩٧٧) ناظم ملحمة عبقر وشقيقيهما الشاعر الاديب رياض ، وعلى راس هؤلاء الابناء البررة والدهم العلامة المؤرخ المرحوم عيسى اسكندر (١٨٦٨ — ١٩٥٦) عضو المجمعين اللغويين السوري والمصري ، وفي سلك الاسرة المعلوفية ينتظم الاب لويس (١٨٦٧ — ١٩٤٦) صاحب المنجد ، ثم . . . ومن نحن في صدد البحث عنه الدكتور امين المعلوف .

ابوه فهد ، وقد ولد امين في الشويفات بلبنان عام ١٨٧١ ودخل الجامعة الاميركية وتخرج فيها طبيبا في مطلع هذا القرن . والتحق بالجيش المصري كأحد اطبائه حيث حضر معركة أم درمان حين احتل المصريون بحر الغزال ، ولما نشبت الحرب في البلقان عام ١٩١٢ اوفدته جمعية الهلال الاحمر المصري الى الآستانة حيث حضر وقائع « شتا له » وعاد الى مصر . ثم آزر الحسين حين اعلن ثورته على العثمانيين فتعين مديرا للصحة في جدة ، وبعدها قفل راجعا الى مصر ، واضطر الى العمل في الجيش البريطاني برهة ثم غادر مصر ولما تنته الحرب العالمية الاولى الى سورية ، وكانت الحكومة العربية فيها قد باشرت انشاء نواة للجامعة السورية عام ١٩١٩ فعين استاذا للطبيعة والنبات بمدرسة الطب بدمشق وقد اسهم في تعريب المفردات الطبية والعلمية . يقول المرحوم الدكتور احمد شوكت الشطي (ت ١٩٧٨) احد اساتذة الطب القدامى ورئيس جمعية الهلال الاحمر :

« ومن الواجب ان نأتي على ذكر رجال بارزين من علماء اللغة ساهموا في ايجاد لغة الطب امثال الاستاذ محمود عبد الحق والاب انسطاس الكرملي والدكتور امين المعلوف والدكتور حسن شرف(٣) وغيرهم مما نشروه في مجلات المقتطف والمعهد الطبي ولغة العرب وغيرها »(٤) . ثم انتقل عام ١٩٢٠ كمدير للادارة بوزارة الخارجية السورية العربية ، وحين احتل الفرنسيون دمشق خرج منها(٥) .

يقول في احدى كتاباته عن الطبيب الفرنسي المسؤول الدكتور ترابو الذي عهدت اليه السلطة الفرنسية بالاشراف على المعهد الطبي :

« أخرجني من الشام برؤوس الحراب فما كاد يختفي ذيلي سنة ١٩٢٠ حتى ظهر راسه فخرجت من دمشق تائم مقاما طريدا شريدا وعدت ودخلتها بعد عشر سنوات من الباب الشرقي فريقا رافع الراس »(٦) الى مصر .

غير انه ما لبث ان لحق فيصلا اثر توليه عرش العراق حيث عين مديرا للامور الطبية في الجيش العراقي ، واقام في بغداد مدة طويلة ومنح رتبة فريق وعاد الى مصر . وما لبث ان اصيب بشلل ظل يعاني الامرين(٧) الى ان توفي في القاهرة في ٢١ كانون الثاني عام ١٩٤٣(٨) .

له مما طبع معجم الحيوان والمعجم الفلكي الذي

يقول فيه : ان تحقيق اسماء النجوم كلفني عرق القربة(٩) ومما لم يطبع معجم النبات والمعجم الانكليزي العربي وكتب اخرى لم يتمها .

يقول العلامة الراحل الامير مصطفى الشهابي (ت ١٩٦٨) في ختام مقال له تحت عنوان « بين الحيوان والنبات » وكنا قد اقتطفنا مقطعا منه حين تحدثنا في مجلة « العربي » عن الشهابي بمرور عامين على وفاته للاستدلال على جزالة اسلوبه . يقول الامير :

« وعبثا حاول صاحبي ان يسكتني فلم اسكت حتى قرع الباب علينا زائر اذا به صديقنا العلامة الدكتور امين باشا المعلوف صاحب معجم الحيوان فاحتكمنا اليه لان علمه بالنبات كعلمه في الحيوان . فلم يشأ ان يحكم بيننا قال لا لزوم للمفاضلة فللنبات منافع ومضار وللحيوان منافع ومضار والامر جلي لا يحتاج الى مهذار » .

من مآثره اللغوية العلمية

من مآثره انه حقق واثت كلمات عربية علمية في الجيولوجيا والنبات وخاصة في الحيوان ، كما سنذكر ، فمنذ ان وضعت الحربية العالمية الثانية اوزارها ، والذهب الاسود ــ النفط ــ يسود عالمي الاقتصاد والسياسة في اقطار المعمورة وللفريق الدكتور المعلوف شرف تثبيت كلمة النفط وذيوعها في العالم العربي ترجمة للفظة اللاتينية .

اوردت مجلة المقتطف منذ نحو من نصف قرن مقطعا في صدر مقال لرئيس تحريرها بعنوان : البترول ونص المقطع وترتيبه كما يلي :

« حقق العلامة الدكتور امين معلوف صحة الالفاظ العربية التي تتصل بموضوع البترول فراينا ان نجري عليها في هذه المقالات :

النفط (البترول)

القار والقير

الحمر (زيت معدني)

الزفت

الغاز الخلقي

القطران

عضويته في المجمع السوري وقصة ترشيحه لمجمع القاهرة

خلال اقامته في مصر انتخب عضوا مراسلا للمجمع العلمي العربي بدمشق ، وبعد بضع سنوات وعلى وجه التحديد عام ١٩٣٥ رشح لعضوية مجمع فؤاد ــ المجمع اللغوي ــ في القاهرة غير انه لم يدخله ، لالتباس وقع من جراء الكنية المعلوفية . وتفصيل الخبر ونزيح عنه الستار للمرة الاولى على صفحات هذه المجلة انه كان ثمة عالمان لبنانيان من اعضاء المجمع العلمي السوري هما عيسى اسكندر المعلوف وامين المعلوف ، وكان المقصود بالترشيح حسبما قراته وسمعته آنذاك الدكتور امين المعلوف غير ان الدعوة وجهت باسم عيسى المعلوف حيث نال عضوية المجمع في القاهرة .

اما قراءتي ، فكانت في تحقيق للصحفي اللامع المرحوم الاستاذ محمد التابعي في جريدة المصري سنة ١٩٣٧ ، وكانت عائذ في بدء صدورها ، وتحاول السبق الصحفي في شتى المجالات . واما سماعي فكان من الكاتب اللوذعي المرحوم الاستاذ ابراهيم عبد القادر المازني ، حيث اكد الخبر خلال ترددي عليه في جريدة البلاغ آنذاك . وقد اعترف كلا الكاتبين التابعي والمازني بعلم وسعة اطلاع عيسى اسكندر المعلوف غير انهما رويا القصة من مصادرها الوثيقة على ما يبدو .

معجم الحيوان

ابرز مؤلفاته معجم الحيوان من مطبوعات المقتطف لعام ١٩٣٢ . هذا المعجم هو مجهود نحو من ربع قرن اذ شرع الدكتور امين المعلوف ينشر تحقيقه اللغوي والعلمي في الحيوان في مجلة المقتطف منذ عام ١٩٠٨ فجمعت المقالات وبوبت في الكتاب المذكور الذي يقع في نيف واربعمائة صفحة من القطع المتوسط ، ثم اضاف اليه بعيد صدوره لواحق وتصحيحات نشرت تباعا في المجلة ذاتها . وذلك بين اعوام ١٩٣٢ ــ ١٩٣٩ . ونرى في الكتاب وخلال شرح المفردات العلمية للحيوان بعض الالفاظ والمعاني الفرنسية والتركية والفارسية والعربية والامهرية والسواحلية فضلا عن الاسمين الانكليزي واللاتيني القائمين بمحاذاة اللفظة العربية مما يدل على المامه باللغات المذكورة ، اما المصادر العربية فقد اعتمد في معظمها على مؤلفي الكتب القيمة الصفراء كالجاحظ وابن سينا وابن سيده والقزويني والدميري والزبيدي وغيرهم ، مما يدل على دابه وجلده وطول باعه في المفردات اللغوية .

يضاف الى هذا ما استنتجه بصورة شخصية من الفاظ الحيوان خلال اقامته في ربوع الشام والجزيرة والقطر المصري والقبائل العربية في السودان . وعلاوة على جميع هذا ، ما اخذه من افواه وكتب علماء الحيوان والرحالة الانكليز خلال اكتشافهم المجاهل الافريقية مثل اهرنبورغ ، وبروس ، وشوينفرت ، واندرسن ، وبادجر ، وهوغلن ، وهمبرغ ، وكان صديقا شخصيا للعالم الحيواني المعروف الميجر فلور .

وقد كان الكتاب وسيظل مصدرا من المصادر المعتمدة لدى المؤلفين والباحثين في علم الحيوان من العرب رغم تطور هذا العلم وتنسيقه ، على اننا لا ننكر ما اقرته المجامع اللغوية وما اجتهد فيه الافراد العلميون ، ثم ما جمعه مكتب تنسيق التعريب في الرباط في مجلته السنوية (اللسان العربي) من الالفاظ العربية في ذلك العلم .

مزاياه في معجمه

انه اول من ميز بين الببر ، والنمر ، وبين العسبار(١٠) ، والسمع(١١) ، وكلاهما من فصيلة مختلفة العسبار او الضبع المخططة من فصيلة الضباع والسمع من الفصيلة الكلبية — ثم بين الطوبين ، والخلد ، الاول ينتمي الى آكلات الحشرات والثاني الى القوارض . وايضا بين القنفذ (كبابة الشوك) ، والدلدل الشبيهم او النيص ، الاول من آكلات الحشرات والثاني من القوارض(١٢) . وكمثال لتحقيقه العلمي يقول في الفهد ما نصه : « لاحم بين الكلب والنمر وهو مرقط كالنمر ، الا ان رقطه متفرقة لا تجتمع كالحلق وليس لمخالبه اكمام كما لمخالب النمر لذلك أفرد له بعض المؤلفين فصيلة خاصة فأخرجوه من السنانير »(١٣) .

ما ادق المعلوف في تحقيقه ! فبعد بضع سنين من قراءتي معجم الحيوان قرات أطلس الثدييات للدكتور بول رود ، المدير السابق لمتحف التاريخ الطبيعي بفرنسا وقد افرد للفهد في الجزء الثاني من اطلسه عشيرة خاصة اسماها الفهدية .

ملحق معجم الحيوان

رغم علم الدكتور المعلوف وسعة اطلاعه وعلو مرتبته كان بعيدا عن اضواء الجماهير المتعلمة ، لذا فقد استطاع علماء اعلام ان ينسلوا الى بعض مفرداته ويختلسوها مدعين انها لهم دون المعلوف وهذا ما حداه الى معركة قلمية حامية الوطيس دارت بينه وبين احد اصحاب المعاجم العلمية وذلك في كتابه او رسالته (ملحق معجم الحيوان) او الرد على الدكتور شرف .

والرسالة وتقع في نيف وستين صفحة ليست مستدركا على معجم الحيوان كما يفهم من عنوانها ، وان كانت تحوي بعض مفرداته العلمية ، غير انها تعد كتابا علميا وادبيا في آن واحد . نرى فيها تحقيقا علميا رصينا واسلوبا ادبيا رفيعا ، وقد استهل الرسالة بقوله : (هذا مثال مما وصل اليه الادب والعلم في عصرنا ، اعرضه على الادباء والعلماء والمحققين وهم بحمد الله كثيرون في الشرق لعل الذين يغارون على الادب والعلم منهم يوفقون الى وسيلة يردعون بها الذين ينتحلون ما تعب فيه غيرهم ولا ارى وسيلة لذلك الا بكشف امورهم للناس) (١٥) . وختم الكتاب ايضا بمثيل لهذه العبارات .

وكان العلامة الاب ماري انستاس الكرملي قد انتقد الكتور شرف حين كتب عن معجمه فقال ما نصه : « ونسي ان يذكر الدكتور امين بك المعلوف الذي الف سفرا جليلا في الحيوان وسماه « معجم الحيوان » وادرج شيئا كثيرا منه في المجلد الثالث والثلاثين من المقتطف وما بعده .

والذي يتتبع الالفاظ الاصطلاحية في علم الحيوان في معجم **الدكتور شرف بك يتحقق الامر بلا ادنى ريب** والدليل على ذلك ان الاغلاط التي يغلطها المعلوف يعيدها بنفسها حضرة المؤلف » .

والملحق في المعركة القلمية يذكرنا على الفور بالكتاب النقدي المشهور للاديب الكبير مصطفى صادق الرافعي على السفود :

للسفود نار لو تلقت بجاحمها حديدا ظن شحما
ويشوي الصخر يتركه رمادا فكيف وقد رميتك فيه لحما

لولا ان الرافعي جمح به حصان الادب فأقذع وكان الى المهاجاة اقرب اما المعلوف فقد امسك بمكابح الفكر العلمي فلم يشتط بل التزم برضانة العلماء ودماثة خلقهم .

من تحقيقاته اللغوية والادبية

وتعمقه في كتب التراث افضى الى تحقيق لغوي ادبي . نذكر له بحثا جاء في عددين متتاليين من مجلة المقتطف في اربع عشرة صفحة بعنوان : (الكريم والفتى والسيد) وذلك تعقيبا على مقال « للصحافي العجوز » توفيق حبيب بجريدة الاهرام في ترجمة كلمة « جنتلمان » حيث قال « الصحافي العجوز » : وكما يحار الانكليز الآن في تحديد كلمة « جنتلمان » فان كتابنا وادباءنا لا يزالون حائرين في ترجمتها ، ويأخذ الصحافي العجوز على الاديب المعروف كامل كيلاني ترجمته لها بلفظة الزول وهي في القاموس الظريف الخفيف الذي يعجب من ظرفه ثم استبعد ترجمتها بتطريف اللفظة التي اتى بها خليل مطران في رواية عطيل .

يورد الدكتور امين ما جاء في معجم وبستر الانكليزي من معان لاصول كلمة جنتلمان ثم ما لدى الفرنسيين ، ويرى ان افضل ترجمة لها بالعربية لفظة كريم رغم تعدد معاني هذه اللفظة العربية ، حيث يأتي على نحو من ثلاثين قولا في معنى الكريم : كتاب كريم اي مختوم ، وقرآن كريم اي يحمد ما فيه من الدهى والبيان والعلم والحكمة ، وقول كريم اي سهل لين ، ورزق كريم اي كثير ، ومدخل كريم اي يحمد ما فيه من الهدى والبيان والعلم والحكمة ، وقول الفيروز ابادي تفسيره الكرم بأنه ضد اللؤم فاللؤم ان يجتمع في الانسان الشح ومهانة النفس ودناءة الآباء . ثم يستطرد ويقول اذا اتصف الكريم بصفات الفتوة فهو فتى ويستشهد بالفتى ما جاء في تاج العروس وفي المصباح وفي لسان العرب وفي اساس البلاغة .

ويثني على الدكتور مصطفى جواد لكتابته مقالا نفيسا في الفتوة في مجلة لغة العرب ويتطرق الى اقوال طرفة بن العبد البكري وقتيلة بنت النضر بن الحارث كما جاء في ديوان الحماسة ثم يقول وورد هذا ايضا في طبقات الاطباء

قربى الاعالي

غضبت وقالت : « انك تسخر بقومي » ، فاجاب :

ان تغضبي ، اني أحب العاصفه ... وأحب رعدك والبروق الخاطفه
وأحب موج البحر اخضر صاخبا ... متكسرا عنــد الجفون الواجفه
وأحب عنفــك والوعيد وقبضة ... عهدي بها نعمى الحياة الوارفه
باتت تهــدد بالقصاص محبهــا ... وهي التي بعميق سري عارفه
قومي وقومك في علاهم واحــد ... فكلاهما سكنــا بقلب العاصفه
الله مــن قسم تــردد هــادرا ... مــا كان أظلمه وأظلــم قاذفه
يــا ليتني اسطيع أفتح مهجتي ... وأريك أنك يــا حبيبة مجحفه
هيا اغضبي! لكن كفى! هيا ابسمي ... حــن الفؤاد الى اللآلي المترفه
من حقه ، بعد العواصف ، ان يرى ... وجه الربيع من العيون العاطفه
من حقه ان يطمئن ... فانه ... قلق. ويخشى ان تكوني الخائفه.

دمشق ــ غرب ابو رمانة

قرب صيدلية شيرين

سعيد ابو الحسن

لابن ابي اصيبعة ، وما وقع لابي الاسود الدؤلي مع عمر ابن ابي ربيعة حسبما جاء في الجزء الاول من الاغاني .

اما السيد وهو كما يرى مع الفتى يقتربان في المعنى لترجمة « جنتلمان » يقول فيما يقول : واذكر ان صاحب نشوار المحاضرة كان اذا قال السيدة اراد بها والدة الخليفة دون غيرها . ويعجبني استشهاد المعلوف بصاحب نشوار المحاضرة في وقت لم يكن يعرف هذا الكتاب سوى افراد قلائل اما اليوم فبعد تحقيق الاستاذ عبود الشالجي له وبعد ان كتب عنه الاخ الكريم الدكتور شكري فيصل ، دراسة نفيسة في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق منذ بضع سنين(١٦) نقول اما اليوم فقد كثر الحديث عنه وغدا مرجعا مهما من كتب التراث .

ويقول المعلوف عن الست بأنها مولدة وهي واردة في شعر البهاء زهير كثيرا(١٧) . هذا الثبت الضخم من المصادر يدل على سعة اطلاع الفريق الدكتور امين المعلوف في ادب ولغة العرب .

انه يثوي الآن تحت ثرى ارض الكنانة . وانــي لأستدرك واقول : رحم الله شوقيا في شعره :

ان تسل أيــن قبــور العظما ... فعلى الافواه او في الانفس(١٨)

---

(١) ــ نذكر ممن اسهم في مضمار المصطلحات العلمية خلال النصف الاول للقرن العشرين : يعقوب صروف وماري انستاس الكرملي وامين المعلوف ومحمد شرف ومصطفى الشهابي وعز الدين التنوخي واحمد عيسى ومصطفى الدمياطي واسماعيل مظهر واحمد زكي وغيرهم .

(٢) ــ اعرف ممن ندعو لهم بطول البقاء رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق الطبيب الدكتور حسني سبح الذي لا يزال يوالي كتابته حول المصطلحات العلمية الطبية في لجنة المجمع المذكور ولا يفوتنا التنويه بمجهود الاستاذ الجليل الدكتور احمد حمدي الخياط والد الدكتور هيثم الخياط العضو الجديد في مجمع اللغة العربية بدمشق .

(٣) ــ هو الطبيب الدكتور محمد شرف صاحب معجم شرف العلمي وقد ورد اسمه خطا .

(٤) ــ الطب عند العرب طبع دمشق ١٩٧٠ احمد شوكت الشطي .

(٥) ــ قاموس الاعلام .

(٦) ــ مجلة المقتطف يونيو ١٩٣٢

(٧) ــ قاموس الاعلام لخير الدين الزركلي .

(٨) ــ معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة .

(٩) ــ ملحق معجم الحيوان .

(١٠) ــ والببر : كلمة هندية الاصل اخذها المعلوف من ابن المقفع في كليلة ودمنة .

(١١) ــ جنس من الضباع خاص بافريقيا الجنوبية .

(١٢) ــ جاء في المجلد الثاني من معجم كيه الموسوعي :
حين الكلام عن كلب الصحراء ان اهالي كردفان في السودان حسبما يقول برهم يعرفونه باسم كلب الشاله يخافون منه على قطعانهم اكثر مما يخافون من السمر وحققه المعلوف السمع او الكلب الضبع .

(١٣) ــ ما يزال بعض المؤلفين يستعملون اللفظة الخاطئة : القواضم بدلا من القوارض وقد نبهنا الى هذا في مجلات مختلفة .

(١٤) ــ حققنا في الفاظ هذه الحيوانات الاربعة في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ج١ م٥١

(١٥) ــ ملحق معجم الحيوان وليس من تاريخ عليه ولكن حسبما يبدو من سياق حديث المعلوف انه الف وطبع في اواخر العشرينات او اوائل الثلاثينات .

(١٦) ــ مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ج٢ م٤٢ نيسان ١٩٧٣

(١٧) ــ (الكريم والفتى والسيد) مجلة المقتطف العددان يونيو ويوليو ١٩٣٤

(١٨) ــ من موشح لاحمد شوقي مطلعه :
مــن لنضو يتنزى المــا ... برح الشوق به في الغلس

حمص
خالديه ــ مساكن ٩

علي حيدر النجاري

حتى السماء ذلك اليوم ما استقرت على حالة واحدة ، آونة صافية ، وآونة اخرى غاضبة مكفهرة ، تنذر بالزوبعة واغراق الناحية بسيول جارفة تكاد القلوب تنخلع لهولها ، غير ان هذا كله ما حدث ، اذ ما تتطلع عيون الجميع صوب السحب القاتمة الزاحفة حتى تنقشع اخيرا فوق رؤوسهم مطلقة اشعة باهتة لشمس فاترة ترمق الناحية باسترخاء وكسل ، عندها جلس احد الشيوخ وفرك لحيته القطنية الكثة ، ثم قلب نظره الذي لا يزال يحتفظ بحدته ليستقر على حلقة واسعة من كتل بشرية التصق اعضاؤها بالارض وانقادوا للصمت ، مركزين انظارهم على مساحة دائرية الشكل ، نطق الحاج مبروك :

— كل المفاهيم انقلبت في زماننا ، لا حول ولا قوة الا بالله ...

تبادل الحاضرون نظرات عدم الفهم ... تشجع جاره سي الاخضر واستوضحه :

— نريد منك ان تشرح لنا ، ماذا تعني بالضبط يا حاج ؟

— الواقع ، لا اعني شيئا ، ما دمت لم آت بجديد ، وما الاحظه أنا هذا اليوم تلاحظونه بدوركم ، انما اردت القول : ان المناخ في هذا اليوم صورة صادقة لحالاتنا النفسية ، فكما ترون لم يثبت على حالة واحدة ، ولم يتغلب عامل من عوامل الطقس على عامل آخر لوقت طويل ... الم تلاحظوا اننا بدورنا لم نستقر على حالة واحدة ... احساساتنا نحو الفقيد الذي واريناه التراب ، وأودعناه ذمة الله ضحى هذا اليوم ، غير مستقرة ، فها نحن تارة يشتد غلينا الحزن .. لحظة ان يحوم علينا طيفه ، ونركن الى الصمت والاغراق في متاهات الدروب الوعرة التي قادته ذات يوم الى موقع حتفه ... وتارات اخرى .. نكاد ننسى الموقف ونسلم انفسنا الى تصرفات وسلوكات شاذة ، ابعد ما تكون عن جمع كهذا اتى للمشاركة في العزاء والمواساة .

عند هذا الحد ، تكوم الحاج مبروك ... تدثر ببرنوصه الصوفي ، اعدم نفسه بالصمت وعدم الحركة ، كأنه ما كان المتكلم قبل لحظات وتعلقت بشفتيه الانظار .. اطبق الصمت من جديد .. لولا سعال حاد ارتفع من نقطة من المحيط .. تكلم صاحبها بنبرة هادئة :

— الحاج مبروك ، بالفعل عبر واقعيا علينا ، ويبدو لي ان صمته ليس عبثا ، واضيف الى قوله : علة عدم استقرار مشاعرنا على حالة

وآه يازمن

بقلم بشير خلف

واحدة ، ناتج عن ان المرحوم تقريبا ، ثلثا الحاضرين لم تكن لهم معرفة مباشرة به ، بل واجزم ان هذين الثلثين لم يروا وجها له ... وما مجيئهم هنا الا مشاركة منهم في مؤاساة هذه العائلة المنكوبة ، وهذين الولدين المسكينين .. بل انتم كبار السن ، اسألوا انفسكم .. الا تزالون تتخيلون وجها غادركم منذ ثمانية عشر عاما ؟ هل لا زلتم تذكرون صوت امرىء هاجر .. غاضبا عليكم منذ ثمانية عشر عاما ؟



ارتفعت همهمات هنا وهناك .. تحركت رؤوس علامة الموافقة ، واردف المتحدث :

— آخر عبارة فاه بها ، والحافلة شرعت في التحرك حينها ، لا تزال عالقة بذاكرتي ... نعم لا تزال ! لم ولن تنجح الايام في محوها وأنا حي أرزق .. لولا خطورتها .. ولولا الفاظها المسمومة ، لاندثرت كغيرها. ولو ان السبب الذي دفعه الى ذلك قد زال من هذه الارض الطيبة — والحمد لله — غير ان ما يصدر عن ابناء هذه الارض بالذات اشد مرارة للنفس مما لو صدر من الغير ...

الكل متلهف الى التقاط العبارة في تلك اللحظة ، بينما كان المتكلم اطبقت شفتاه على كأس مرتشفا شايا ساخنا ، قدمه في صينية الى الحاضرين احد افراد الاسرة .. ثم حول عينيه نحو الطريق المعبد ، حيث كانت شاحنة بترولية ضخمة تسابق الريح ، صامة الآذان بصوت محركها الضخم .. مرت دقائق والحاضرون في تلهف الى سماع البقية .. لكن الصمت وضع ثقله من جديد .. فنفذ صبر احدهم :

— هه .. اكمل بحقنا عليك يا سي الاخضر ...

— ....

الح اكثر من واحد عليه .. وفضل الاجابة المقتضبة :

— ليس الآن ! .. فاللحظة غير مناسبة والموقف الحاضر لا يسمح بذلك .. واشار بطرف خفي الى شاب يجلس بعيدا عن الحلقة مطأطئا الرأس ، صامتا .. غارقا في همومه واحزانه .. قبل دقائق كان لا ينفك بين آونة واخرى يقلب طرفه هنا وهناك .. بيد انه اخيرا سمر نظره في الارض ، حيث تناهى الى سمعه كل ما قيل في الحلقة .. وقد لاحظ احد الحاضرين عبرات راحت تنحدر

من عينيه منزلقة على مساحة وجه شاحب ، فقد نضارة الشباب ، برزت عظامه ، وقد انهك التعب صاحبه ، وعز عليه النوم طيلة ثلاثة ايام بلياليها ... لتستقر تلك العبرات على شعرات تفتقر الى الكثافة فوق شفة عليا .. لشاب طوى العقد الثاني من عمره قبل سنتين ...

* * *

استرجع محمود شريط الماضي .. ماضي طفولته وشبابه .. بحثا عن محطة قارة .. واضحة .. يلجأ اليها تربطه بأبيه الراحل .. الطريق كانت خالية .. الا من محطة واحدة ضعيفة البنيان .. واهية الاركان .. باهتة اللون .. كل الذي لا يزال عالقا بذاكرته ، ومن الصعب خلو الذهن منه .. ان طفولته ومراهقته افتقرتا الى شخص في الاسرة ، يقال له الاب .. فمنذ ان تعرف على من يحيطون به حينما بدا يعي هذا العالم، تعرف على شيخ كبير ، يملأ عليه الحياة الى جانب والدته واخيه .. في اوائل عهده بمرحلة المراهقة ، رحل ذلك الشيخ الى العالم الآخر وترك في حياته فجوة ، تطلع الى من يسدها .. فما وجد .. وتزاحمت الاسئلة في دماغه .. فكان بين الحين والآخر يمطر بها والدته ، التي كانت تركن الى الصمت تارة ، وتتهرب تارة اخرى من الاجابة ، وتراوغ تارات اخرى .. الى ان اكمل محمود دراسته ... ودخل الحياة العملية.. واقتحم ميدان الشغل .. امتلأت جيوبه بالمال .. ترفه في العيش .. وشع على والدته واخيه .. لكنه لاحظ ان هذا التوسع في العيش ، يجب ان يتسع ليشمل انسانا آخر ، عضو من العائلة ، آن له ان ينضم اليها ، لتكتمل السعادة .

كان محمود يشتغل في الجنوب في عمق الصحراء ، اختصاصيا في التنقيب عن النفط ، وكان نظام العمل المعمول به يقتضي منه ان يشتغل طيلة ثلاثة اسابيع متواصلة ، على ان يستريح الاسبوع الرابع ، يتحول في بدايته الى بلدته ، حيث يقضيه مع والدته واخيه ، اذ يجدهما في انتظاره بشوق كبير . فيوم وصوله لم تترك الوالدة تعويذة الا ورددتها ، ولا بخورا لديها الا واحرقته تيمنا وبركة ، ودفعا للحساد والحاسدات من الجيران ... كانت ترى وجودها ، وما تبقى لها من سنوات العمر مجسما في محمود .. هو الهواء الذي تتنفسه .. الدم الذي يجري في عروقها ، ولا يقل عنه منزلة اخوه سعيد ، بيد ان هذا الاخير ، كما تقول : لا يزال صغيرا يتابع تعلمه ، فلم يتعد العام الثامن عشر بعد ...

* * *

خلال السنة الماضية ، والصيف على الابواب .. اخذ محمود اجازة طويلة ، وبينما ذات يوم وهو جالس بالقرب من والدته يتحاوران في بعض الشؤون ، اذ بادرها بالقول :

— تعلمين يا امي اني اخذت اجازة مدتها شهران ، فما قولك لو اقوم بجولة عبر بعض المناطق من بلادنا ، تعرفا عليها ، وترفيها عن نفسي ؟

— لا .. لا يا ولدي ! .. الوقت غير مناسب بعد للقيام بهذه الجولة..

— لماذا ، افيها مضرة ؟ ... ان كان كذلك فأتخلى عنها ...

— في الحقيقة ليس فيها ما يضر ، وفرحي عظيم بمثل هذه الجولات بالنسبة لك ولاخيك ، انما ارى ان تأجيلها الى وقت آخر افضل يا ولدي ...

— اذن .. فكيف ترينني اقضي عطلتي ؟

— قد وضعت لك خطة لجولة... بل لبحث تقوم به في مكان خارج بلادنا ... وآمل ان تقوم بالمهمة على احسن وجه .. ولن انسى لك هذه المهمة ابدا وانا على قيد الحياة .

— عرفيني بالخطة التي اعددتها . والبحث على ماذا ... او على من بالضبط ...

— مهلا يا ولدي .. لا تسبق الزمن ... بعد لحظات ستعرف كل شيء .

ازداد محمود اهتماما بالموضوع.. تعلقت عيناه بشفتي امه ، كل لفظة ستفوه بها نفس سيتردد في جسمه ليعطيه الحياة .. تضاعفت دقات قلبه .. صار يسمعها بوضوح تام .. خيم السكون .. انقطعت الحركة .. احس بالرهبة .. بالعظمة .. كأنه في معبد خاصة لما لاحظ تغير وجه امه .. الوجه الذي لم يفقد البشر والبسمة .. سكنه العبوس وازداد صعود وهبوط قفصها الصدري .. تركز نظرها على نقطة بعيدة في الفضاء ... تستشف منها الوقائع .. ثم ما لبث ان شاهد دموعا غزيرة تنفلت هابطة بسرعة.. انها نصل خنجر يمزق فؤاده .. سرعان ما ارتمى عليها واحتضنها باكيا ...

* * *

— حدث ذلك يا ولدي قبل الآن باثنين وعشرين عاما ، عندما تزوجنا .. ولم تمض غير سنة واحدة حتى رزقنا الله بك ، فغمرتنا الفرحة والسعادة ، عندها احس والدك ان دوره في الاسرة ازداد ، فضاعف من عمله الفلاحي ، نتيجة لذلك ازداد المدخول .. استطعنا ان نشيد هذا

المنزل الذي نحيا بين جدرانه والذي فيه رأيت النور وترعرعت .. حقا يا ولدي انها لأيام سعيدة شملنا الرخاء .. خاصة تلك السنة وانت في عامك الثالث تجري وتمرح بيننا مسقينا نشوة السعادة .. والامل البسام ... واذا بأبيك يتلقى رسالة من ابن عمه مسعود ، ارسلها له من المهجر طلب منه الالتحاق به هناك ، حيث يكثر العمل المدر للاموال .. نزلت علي نزول الصاعقة ، انها خطر مهدد لهذا البيت العامر .. وحرب مدمرة .. مشردة لافراد هذه الاسرة الفتية.. اما ابوك يا بني فقد اسكرته نشوة الفرح ، وخدرته عبارة : العمل المدر للاموال . بذلت جهودا مضنية في صده عن الرحيل ، او على الاقل تأجيل الرحيل ... لكنه صمم ولا فائدة في رده عن تصميمه .. رحل اول الربيع ، بعدما ترك لي القليل من المال يكفي لشهور قليلة ... ووعدني بارسال المال كل شهر ، ما دام العمل والمال متوفرين ، كما اكدوا له ... على ان يقضي شتاء كل سنة معنا . انقدت للوعود يا ولدي ، ورأيت انها ما دامت لصالح الاسرة فلا مهرب منها .

وبتوالي الشهور الاولى تهاطلت علي رسائله .. وصلني البعض من المال .. وحل الشتاء ورأى اخوك سعيد النور ، ونزل الى الحياة ، اذ صرنا ثلاثة ، وبذلك زادت حاجتنا الى المال ، رحل الشتاء ولم نر اباك حيث اخلف وعده ، ومن ثم بدات مخاوفي تتحقق ، وبالفعل ما ان اقبل الصيف لتلك السنة حتى قطع علي امدادات المال والرسائل . لا اكذب عليك يا ولدي ، عندما اقول لك : اني منذ ذلك الصيف لم أتلق منه مالا .. او رسالة ، او مجرد خبر مع اي قادم ، وهم كثيرون كما تعلم ، انت تدري وتتذكر كيف كنا نعيش في جزء من طفولتك وشبابك ، ومواردنا ، اذ كان جدك – رحمه الله – اكبر مساعد لنا ، فضلا عما كنت اقوم به انا من نسج لبعض الملابس الصوفية. ثم رحل عن هذه الدنيا ، فضاعفت من عملي ... قد مرت تلك الايام العصيبة ، وهلت علينا بدلها ايام الفرحة والسعادة يا ولدي على يديك ، وعوضتنا ما حرمنا منه ، فرحتنا وسعادتنا ، من الواجب ان تشمل اباك .. نعم اباك .. رغم ما حصل فهو ابوك ، يجب اسعاده ...

– لكن ... كيف العمل يا اماه ! ونحن نجهل عنه كل شيء ...

– ليس الامر بالصعوبة التي تراها .. الامر هين ، بالفعل نحن نجهل عنه كل شيء ، الا ان المدينة التي يقيم بها معروفة لدينا .

– نعم باريس يا اماه ...

– بل حتى الاحياء المقيم فيها معروفة ، فمجرد الاتصال بالعمال الذين يعرفونه .. عمال بلدتنا هذه .. بل وطلب المساعدة من البعض لكفيل بالعثور عليه ...

– ماذا تريدين مني بالضبط ان اعمل الآن ؟

– اريدك ان تتحول في اجازتك هذه الى هناك ، وتبحث عنه ، وتبذل كل جهودك على اقناعه في العودة .

– انا مشتاق لرؤيته يا امي .. بل الى ملاقاته ، سأعمل على تحقيق ذلك ، غير ان الصعوبة تكمن في اعادته ، ان كان غير راغب في العودة .

– لا صعوبة يا ولدي ، اجازتك طويلة ، لديك من الوقت ما يكفي هذه المهمة . اخوك لا يعرفه ابدا . امن الحق والانصاف الا يرى الاب ابنه قرابة العشرين عاما .. وكلاهما على قيد الحياة .

* * *

قطع عليه استرسال الشريط ، وصول احد المعزين . لحظة اقترابه منه ، وتقديم عبارات العزاء المؤثرة ، ادرك انه احد افراد العائلة وصل للتو من المهجر ، كان ممن قدموا مساعدات مهمة لمحمود خلال الفترة الضائقة التي كان يبحث فيها عن والده ... لعل كلمات العزاء المؤثرة والنابعة من الاعماق لاكبر دليل على اواصر القربى ، واصدق تعبير على الوفاء للعائلة .. لذلك كان الاقتضاب فيها كافيا ، مما ادى بمحمود الى متابعة الشريط .

تمكن من قطع البحر خلال ذلك الصيف ، وحل بباريس التي لم يبهره شيء من معالمها الحضارية ، حيث لم يكن هدف ذهابه الى هناك ، تلك المعالم ، بل كان هدفه شيء آخر ، وبفضل بعض العناوين التي اخذها معه ، استطاع الاتصال بالكثير من عمال بلدته الذين لم يبخلوا عليه بمساعداتهم . وما مضت غير ايام قليلة حتى تمكن من الاتصال بأبيه ، في احد مستشفيات الامراض الصدرية ، وحالته سيئة جدا ، كان اللقاء مؤثرا فعلا .. لقاء والد بابنه رحل عنه وهو في عامه الثالث ، وقد اصبح شابا قوي البنية ، يملأ الدنيا ، ولم يترك والده في نفسه ذكرى يعيش على طيفها . وبين هذه وتلك ، هذا اللقاء اللعين .. في المستشفى .. واي مستشفى ؟ انه مستشفى الامراض الصدرية ...

انتهى اللقاء ... مرت الايام وزيارة محمود لوالده متكررة .. وشرع يعرض عليه فكرة العودة ، والامر لا يتعدى فكرة الموافقة .. كل شيء جاهز . في البداية كان الوالد يعمد الى التأجيل ، ريثما يبرأ من العلة الخبيثة ، ثم صار يلجأ الى الصمت ، طالت الايام ، واوشكت الاجازة على نهايتها . صمم محمود على اخذ والده معه ، مهما كانت الظروف .. حينذاك انتفض الوالد :

– عد يا ولدي الى هناك ..

اعدك وعدا صادقا ، اني حالما يسمح لي بمغادرة المستشفى ، التحق بكم .

— بـل الآن ، فالطبيعة عندنـا تساعدك اكثر ، والعلاج احسن ...

— ليس مـن المعقول ان اعود عليلا .. كمية مهملة الى بلدتي .. بلدتي التي خرجت منها بصحة كانت مضرب المثل .. لا يا ولدي ...

— ليس في الامر مـا يعيب .. لست الوحيد الذي عاد مريضا ..

— ارجوك يا ولدي ان تعود ..

محمود يعلم في قرارة نفسه ، ان الوعود لم تعد لها مكانة في هـذا العالم حتى من اقرب الناس . وازن يومها بين وعوده قبل عشرين عاما لوالدته ، وبين وعوده له ، ادرك انها مكملة لبعضها . بقية مـن الامل ترسبت في داخله . ما فتئت تدغدغه بين آونة واخرى ، بعد عودته . الام بدورها في قـرارة نفسها نتيجة رهافة حسها ، وبحدسها الذي لا يخطىء ، وتجربتها من الماضي ، فقدت كل امل .. لكنها كانت متفائلة اكثر امام ابنيها .

تساقطت الايام تباعا من عقـد السنة .. وما وصل الوالد .. وما ورد خبر عنه ، الى ان كان يوم ، ومحمود في اسبوع الراحة كعادته مع الاسرة ، اذ سمع دقدقة غير عادية على الباب الخارجي .. اسرع .. انـه ساعي البريد يسلمه برقية ، التهم كلماتها .. مرسل البرقية احد العمال هناك من الاسرة :

— احضر حالا ، لتأخذ اباك معك ، كفاه غربة ...

تشكل على محمود الامر .. وزاده تعقيدا فزع الام التي راحت تلطم وجهها وتصرخ :

— كنت اعرف ... نعم اعرف .

— ماذا تعرفين ؟ افصحي ..

— اعرف انه يفضل العودة ميتا ، على ان يعود حيا ..

— كفى يا اماه ، من قال لك هذا الخبر المشؤوم ... لقد شفي من علته ..

— لا يا محمود ، قلبي يحدثني عكس ذلك .. كنت اعرف انه ...

— تعرفين ماذا ؟ اهناك سر في التضحية ؟

— لا يا محمود ... ولكن ..

— اي لا ؟ ... واية لكن ؟

* * *

خطر له ان يرغم سي الاخضر على البوح له بما رآه غير مناسب قوله للجماعة ، بيد ان رهبة الموقف ، وجـلال الموت ، وذكرى الراحـل العزيز ، ادت به الى الصمت سيما وانه متعب جدا .. ثلاثة ايام بلياليها ما طرق الكرى جفنه .. وما دخلت بطنه لقمة عيش .

بعد ايام اربعة ، خلا المنزل من كل من هب ودب للمؤاساة والعزاء .. يومها انفرد بوالدته راغبا اياها على البوح له بما اخفته عنه ذات يوم ... الامر لم يعد في حاجة الى الاخفاء .. آن لمحمود ان يعرف :

— الحق يا ولدي ، لا سر اخفيه عليك ، انمـا حاولت الا اصطدمك بتصرف غير لائق صدر من ابيك حين غادر بلدتنا .. تصرف شاذ .. ربما ندم عليه ، ولعلي لا اخطىء ، ان زعمت انـه السبب الوحيد في عدم عودته .

— اسرعي .. اذكريه ..

— حينما وضع رجله في الحافلة لعن هذه البلدة .. بل اهلها والوطن كله واهله ولغته .. اقسم يومها الا يعود الى هذا التراب .. بالطبع ما سمعت انا منه ذلك الكلام .. ورأيت بعدها انها نزوة سرعان مـا تندثر تحت طيات الايام ... وبدا انها غير نزوة ..

— اذن ، فلماذا اتعبتني كل ذلك التعب يـوم كلفتني بالبحث عنـه واعادته ؟

— او انت نادم يا محمود ؟

ارتبك واحمر خجلا .. وركن الى الصمت ..

خطر له لحظتها ان يشكر امه ، معترفا لها بالوفاء والتضحية فارتمى عليها .. تصور لحظتها انها القلعة التي طالما صمدت امـام العواصف وحمته داخلها ، ولسوف تحميه ، ما دام فيها نفس يتردد .. ثم رفع رأسه واخرج ورقة بيضاء من جيبه تحمل في اعلاها هذه العبارة .. رخصة الخروج مـن التـراب الوطني .. ومزقها شر تمزيق ، بحقد وتشف ، اثار انتباه والدته :

— ماذا مزقت ؟

— لا شيء يهم ، انها ورقة فات اوان استعمالها فقط .

اقسم داخله ، الا يغادر هـذه الارض ، الا مرسلا في مهمة خاصة او بعثة .

بشير خلف **قمار — الجزائر**



ديوان الادب

لأبي ابراهيم اسحاق بن ابراهيم الفارابي

تحقيق الدكتور احمد مختار عمر ــ القاهرة ١٩٧٥ ــ الجزء الثاني

كنت قد نظرت في الجزء الاول من هذا المعجم المهم وها انا اعود لاشير الى الجزء الثاني منه فابين ما بدا لي ان اقول فيه :

يبدأ هذا الجزء بابنية الاسماء التي اشتمل على شيء منها الجزء الاول فيعرض للابواب التي لحقتها الزيادة بعد اللام فيذكر باب « فعل » بفتح الفاء وتشديد اللام ثم باب « فعلة » ويستمر في عدة هذه الابواب التي استقراها المؤلف .

(١) جاء في الصفحة الاولى في باب « فعل » :

الجبل : الخلق .

لقد علق الاستاذ المحقق على هذه الكلمة في حاشيته (٥) فذكر عدة القراءات في قوله تعالى : « ولقد اضل منكم جبلا كثيرا » واشار الى قراءات « جبل » بضم فسكون وبكسر فسكون وبضمتين مع تخفيف اللام في الكل ، وبضمتين مع تشديد اللام .

اقول : وقد فاته ان يذكر القراءة الشهيرة التي بها نقرأ وهي بكسرتين وتشديد اللام . ولم يشر المصنف الى هذه القراءة مع انه جعل من نهجه الاشارة الى الوجوه الاخرى .

(٢) وجاء في الصفحة ٢ قول المصنف :

« ويقال : رجل كِبنة للمتقبض » .

اقول : ان عبارة المصنف « للمتقبض » معوزة وذلك لانها تفتقر الى زيادة ايضاح نجدها في « الصحاح » .

قال الجوهري : الكبنة للمتقبض البخيل .

(٣) وجاء في الصفحة ٣ قول المصنف :

« والهبل : الثقيل » .

اقول : جاء في « الصحاح » ان « الهبل » هو الثقيل المسن من الناس والابل . ومن المفيد الاشارة الى ان هذه الكلمة ما زالت معروفة في العامية العراقية بقريب من هذه الدلالة .

(٤) وجاء في الصفحة نفسها قول المصنف :

« وفرس طمر ، للمشرف » .

اقول : وليس « المشرف » بالمعنى الواضح المراد من الكلمة . وليس هو مما ذكر في كتب اللغة .

جاء في « لسان العرب » : ان « الطمر » الفرس الجواد ، المشمر الخلق ، المستعد للعدو ، الطويل القوائم الخفيف .

اين كل هذا من « المشرف » الذي اثبته المصنف . ومن الحق ان اشير الى ان المحقق عقب على قول المصنف فذكر جملة هذه الفوائد .

(٥) وجاء في الصفحة نفسها قول المصنف :

« والفلز ما اذيب من جواهر الارض » .

اقول : والكلام ناقص فقد جاء في « الصحاح » : الفلز ما ينفيه الكير مما يذاب من جواهر الارض . لقد اشار المحقق الفاضل الى هذا .

(٦) وجاء في الصفحة نفسها قول المصنف:

« الخبق اتباع للاشق . وهو الطويل » بفتح الشين .

اقول : والذي يحقق الاتباع هو الخبق بفتح الباء ليوازن الاشق .

(٧) وجاء في الصفحة ٤ قول المصنف :

« والسجل الصك ، يقال الوراق » .

اقول : والــذي في الصحاح واللسان والقاموس: الكاتب .

(٨) وجاء في الصفحة نفسها باب «فعلة»:

ذكر المصنف الجبلة والشملة ليس غير ، وفاته ان يذكر « الطمرة » وهي انثى « الطمر » الذي ذكره في باب « فعل » ، والاتان الطمرة الشديدة العدو .

(٩) وجاء في الصفحة نفسها باب « فعلى » : بكسرتين مع تشديد اللام .

ذكر المصنف الزرمجي والجرشي والزمكي وفاته ان يذكر العبدي جمع عبد وغير هذا مما جاء على هذا الباب .

(١٠) وجاء في الصفحة نفسها باب « فعلى » بفتح فسكون وذكر غضبى للمائة من الابل وفاته ان يذكر « علقى » ضرب من النبات .

(١١) وجاء في الصفحة ٥ في باب « فعلى » بضم الفاء جملة كلمات لكنك لا تجد فيها « ركبى » و « سعدى » ورقبى وغيرها كثير ايضا .

(١٢) وجاء في الصفحة ٦ باب « فعلى » بكسر الفاء وذكر المصنف جملة مواد فيه ولكنه قصر فلم يذكر « ضربى » جمع ضربان .

(١٣) وجاء في الصفحة ٧ باب « فعلاة » بكسر الفاء وذكر فيه السعلاة والمزهاة ولا ادري اين « عرقاة » بمعنى الاصل وغير ذلك من الكلم في هذا الباب .

(١٤) وجاء في الصفحة ٨ في باب « فعلى » بضم ففتح شعبى وجنفى اسما موضعين . وفي اسماء المواضيع نجد اشياء اخرى .

(١٥) وجاء في الصفحة نفسها في باب « فعلاء » طائفة من الاسماء .

ومما يستدرك عليه :

اللعباء : ارض في البحرين .

الخضراء : من البتول . والخضراء الدهماء ومنه الحديث « فابيدت خضراؤهم » .

والحمراء : الاعاجم . ومضر الحمراء .

(١٦) وجاء في الصفحة ٩ : خنساء من اسماء النساء .

اقول : والكلمة محتاجة الى اكثر من هذا .

(١٧) وجاء في الصفحة ١٣ باب « فعلان » من الاسماء وذكر المصنف طائفة منها .

اقول ومما يستدرك عليه « قحطان » فقد ذكر عدنان دون ان يتبعه بـ « قحطان » وهو حق وارد .

(١٨) وجاء في الصفحة ١٦ باب « فعلان » بضم الفاء وذكر فيه المصنف شيئا مما ورد جمعا نحو الركبان جمع راكب والصحبان جمع صاحب .

اقول : وفاته العربان والعجمان والحمران والبرصان وغير ذلك كثير.

وقد ذكر مصادر من هذا الباب نحو السلطان والشكران وغيرهما .

وقد فاته من ذلك كثير ايضا نحو الخسران والعمران وغيرهما كثير ايضا .

(١٩) وجاء في الصفحة ١٩ باب « فعلان » بكسر الفاء ذكر فيه المصنف طائفة من الجموع وطائفة من المصادر كالهجران والعرفان وفاته ان يذكر من هذا الباب العشرات ، كالغلمان والقردان وغيرهما ، ومن المصادر الفقدان والنشدان وغيرهما .

(٢٠) وجاء في الصفحة ٢٢ باب « فعلل » من ابواب الرباعي فذكر المصنف :

« الشرعب رجل كان يعمل الاسنة والرماح » .

اقول : لم يرد هذا في « الصحاح » او « اللسان » وانما جاء « الشرعبي » بالنسب وهو ضرب من البرود . وفي « معجم البلدان » : ان شرعب مخلاف باليمن تنسب اليه البرود الشرعبية . وفي مستدرك التاج : ان شرعب رجل وبه سميت البلد(1) .

(٢١) وجاء في الصفحة ٢٣ قول المصنف :

« ويقال للبن اذا كان حلوا دسما : انه لسمهج سملج » .

اقول لا وفي « اللسان » عن الفراء : يقال اللبن : انه لسمهج سملج بتشديد اللام اذا كان حلوا دسما . وكذا ضبطه الفيروزابادي في القاموس بالتشديد كعملس .

(٢٢) وجاء في الصفحة ٢٧ قول المصنف :

« والقرنع من النساء التي تلبس درعها مقلوبا » .

اقول : والكلام معوز . جاء في « الصحاح » : ان « القرنع » من النساء البلهاء . وسئل اعرابي عنها فقال : هي التي تكحل احدى عينيها وتترك الاخرى . وتلبس قميصا مقلوبا .

(٢٣) وجاء في الصفحة ٢٨ قول المصنف :

« البلعك من النوق الحامل » .

اقول : وليس في معجمات اللغة وصف البلعك بالحامل .

جاء في الصحاح : البلعك المسترخية المسنة . وفي « اللسان » : قال ابن بري هذا قول ابن دريد ، ولم يذكر « المسنة » احد غيره .

وجاء في التهذيب ٣٠٨/٣ : البلعك الناقة الثقيلة . وفي المقاييس ٣٣٤/١ : الناقة البلعك المسترخية اللحم .

(٢٤) وجاء في الصفحة نفسها قول المصنف :

« وهو الدرمك » . كذا .

اقول : وهو في « الصحاح » دقيق الحواري اي الدقيق الابيض .

(٢٥) وجاء في الصفحة نفسها قول المصنف :

« والدلعك مثل الدلعس » .

وهذا الشرح يتطلب ان نعرف « الدلعس » فنرجع اليها في الباب نفسه في الصفحة ٢٦ فنجد :

« ان الدلعس مثل البلعس » فنستقري « البلعس » الاخيرة هذه فنجد :

« البلعس من النوق الضخمة مع استرخاء فيها » .

(٢٦) وجاء في الصفحة نفسها قول المصنف :

« والعندل من النوق العظيمة » .

اقول : والذي في « الصحاح » والقاموس : العظيمة الرأس .

وقد اشار المحقق الى ان ما في نسخة (س) من الاصول المخطوطة : « العظيمة الرأس » ايضا .

(٢٧) وجاء في الصفحة ٢٩ قول المصنف :

« والقرمل نبات » .

اقول : والذي في « الصحاح » : « شجر ضعيف لا شوك فيه » .

(٢٨) وجاء في الصفحة ٣٢ قول المصنف :

« والعرتمة هي الحترمة » .

اقول : والكلام معوز فاين المعنى ؟ جاء في « الصحاح » ان العرتمة مقدم الانف ، والحترمة الدائرة في وسط الشفة العليا .

(٢٩) وجاء في الصفحة (٣٣) باب فعللي وفيه جملة مواد . ومما يستدرك عليه :

الاشعبي للمتصف بخلق اشعب في الطمع .

والالمعي للمبرز اللامع الواضح الذكي .

والاسودي والاحمري للاسود والاحمر .

(1) ــ انث صاحب « التاج » البلد على لغة عوام المصريين في هذا والصواب التذكير .

(٣٠) وجاء في الصفحة ٣٤ قول المصنف :

« والقرقط » ولم يذكر اي معنى ولم نجد الكلمة في اي من المعجمات .

(٣١) وجاء في الصفحة ٣٤ الرعشن وذكر معناه « الرعش » والصواب : المرتعش .

وفات المصنف ان يثبت « ضيفن » للذي ياتي مع الضيف من غير ان يدعى . وكان على المصنف ان يذكر هذا لان الكلمتين من الكلمات التي استشهد بها النحاة في زيادة النون لضرب من التنوين الذي يفيد في زيادة معنى .

(٣٢) وجاء في الصفحة ٣٥ « الحرككة » واحدة الحراكيك وهي الحراقق .

اقول : والذي في « الصحاح » : هي رؤوس الوركين ، ويقال اطراف الوركين مما يلي الارض اذا قعدت .

(٣٣) وجاء في الصفحة نفسها قول المصنف :

« والهوزب المسن من الابل » .

اقول : وفي « الصحاح » و « القاموس » انه البعير القوي الجريء .

(٣٤) وجاء في الصفحة ٣٦ قول المصنف :

« والشوذر الاتب » .

اقول : وفي « الصحاح » : الملحفة وهي غير الاتب . انظر « اتب » في « الصحاح » و « اللسان » .

(٣٥) ولا ادري كيف يكون ديوان معجما ولو كان خاصا بالابنية وهو لا يفي بذكر المواد التي ترد على الابواب الخاصة بالابنية فانت تستطيع ان تستدرك الكثير من ذلك في كل بناء من تلك الابنية . ثم انه موجز ايجازا مخلا وذلك انه يذكر المادة ولا يذكر معناها فان ذكر المعنى جاء به ناقصا ، وان ذكر معنى من المعاني اعفى نفسه من سائر المعاني التي تثبت في تلك الكلمة .

وفي باب « فوعل » الذي يبدأ من الصفحة ٣٥ الى الصفحة ٣٨ يذكر طائفة من المواد ولكنه يقصر فلا يستوفي ما جاء على ذلك البناء .

فاين :

بوزع : اسم امراة واسم رملة معروفة .

ودوبل : ولد الحمار .

ودوقل : لراس الذكر .

وسوجر : ضرب من الشجر . وغير هذا كثير مما اخل به .

(٣٦) ومثل هذا باب « فوعلة » في الصفحة ٣٨ جملة مواد ولكنك لا تجد فيها :

الحولقة والقوصرة والعومرة والزوملة والدوفلة وغيرها .

(٣٧) وجاء في الصفحة ٣٩ قول المصنف :

« فوعلي ومن المنسوب اللوذعي الحديد الفؤاد » .

اقول : على سبيل المثال : اين الدوسري والسوجري وغيرهما كثير ؟

(٣٨) وجاء في الصفحة نفسها باب « فيعل » بفتح العين وقد ذكر المصنف فيه جملة مواد وفاته الكثير فاين شيزر وحيدر وغيرهما .

(٣٩) وجاء في الصفحة ٤٤ باب فيعلي وذكر المصنف مادتين هما قيسري وصيرفي وفاته ان يذكر جيدري .

(٤٠) وجاء في الصفحة نفسها قول المصنف :

« والهيشلة من الابل وغيرها ما اغتصب » .

اقول : وقد جاء في « الصحاح » : الهيشلة (على فيعلة) واستشهد عليها بقول الشاعر :

وكل هشيلة ما دمت حيا   علي محرم الا الجمال

وكذلك وردت في « اللسان » و « القاموس » .

وفي « التهذيب » ٨٤/٦ : ان الهيشلة تصحيف ، قال الازهري : « واقرأني الايادي عن شمر لابي عبيد ، عن الاحمر قال : الهيشلة من الابل وغيرها ما اعتصب .. قلت : وهذا حرف وقع فيه الخطا من جهتين ، احداهما في نفس الكلمة ، والاخرى في تفسيرها . والصواب الهشيلة

على فعيلة من الابل وغيرها ما اغتصب لا ما اعتصب ... واما الهيشلة على فيعلة فان شمرا وغيره قالوا : هي الناقة السمينة .

(٤١) وجاء في الصفحة ٤٦ قول المصنف :

« ومن المنسوب الجهوري العظيم في مرآة العين » .

اقول : وهذا مثل من ايجاز المصنف الذي قصر فيه تقصيرا واضحا . اين الرجل الجهوري الصوت بمعنى العالي .

(٤٢) وجاء في الصفحة نفسها قول المصنف :

«الجخدب من الرجال النبيل » .

اقول : والذي وجدته في معجمات العربية جميعها الضخم والعظيم الجسم .

(٤٣) وجاء في الصفحة ٥٠ باب « مفعل » بضمتين وذكر فيه المصنف اربع مواد هي المسعط والمنخل والمنصل والمدهن وفاته ان يذكر المغزل لغة في المغزل .

(٤٤) وجاء في الصفحة ٥١ باب « فعلل » بضمتين وذكر القعدد والدخلل وفاته ان يذكر الكثير مما ورد على هذا الباب والا فاين « القمقم » و « الطرطب » وغير ذلك .

(٤٥) وجاء في الصفحة نفسها باب فعلل بكسرتين وذكر طائفة من المواد وقصر في طائفة اخرى والا فاين العكرش والبهنس والنقنق .

(٤٦) وجاء في الصفحة ٥٤ باب « فعيل » بكسر ففتح جملة مواد وليس فيها مهيع وكان المصنف عد « مهيعا » على « مفعل » .

(٤٧) وجاء في الصفحة ٥٥ قول المصنف :
« والفريل ما بقي في اسفل الحوض من الثفل وما بقي في اسفل القارورة » .

اقول : وجاء في « الصحاح » : الطين الذي يحمله السيل فيبقى على وجه الارض رطبا او يابسا .

والاصل في الكلمة « الفرين » بالنون وهو الاشهر . وقد جاء في « اللسان » : الفرين مثل الدرهم الطين الذي يحمله السيل فيبقى على وجه الارض رطبا او يابسا ، وكذلك الفريل وهو مبدل منه .

(٤٨) وجاء في الصفحة نفسها قول المصنف :
« الدرفس من الابل العظيم » .

اقول : ولم يذكر من معانيه العلم الكبير الذي ورد في سينية البحتري:
والمنايا مواثل وانو شروان يزجي الصفوف تحت الدرفس .
ولم يشر الى ان « الدرفس » ايضا الحرير . وتقصير المصنف في ايراد معاني الكلمة واضح كل الوضوح في المعجم كله .

(٤٩) وقد رأيت الكلمات التي وردت على « فعلل » التي تنتهي بالراء فلم اجد « قمطر » ووجدت « سبحل » ولم اجد « رحبل » . وكان المؤلف ذكر هذين في المؤنث فقال « قمطرة » و « رحبلة » . وهذا لا يغني لان الكلمتين قد وردتا ايضا بغير الهاء . وقد ذكر ان « السبحل » هو الضب الضخم . وكان الكلمة تعني هذا وليست الكلمة كذلك فهي تعني الضخم عامة . انظر القاموس المحيط .

(٥٠) وقد قصر المصنف في باب « فعلل » في الصفحة ٥٦ فلم يذكر « علكد » مثلا . ومن سوء التصنيف ان المصنف قد ينسى كلمة واحدة من الباب او كلمتين او ثلاثا ثم يذكرها فيثبتها بعد ان يعيد الباب فيقول مثلا « فعلل » ويعيدها ليثبت الكلمة او الكلمتين او الثلاث كما فعل في هذا الباب فاثبت الوزن « فعلل » ثانية وذكر كلمة واحدة هي « هدبد » . وطريقة المصنف في هذا الخصوص ان يثبت كلمة « مكرر » للمضعف بتكرار حرف من « فعلل » . اما ما لم يذكره وقد غفل عنه فهو كثير ايضا كما اشرنا .

(٥١) وجاء في الصفحة ٥٧ باب « فعالل » وذكر طائفة من الفاظ والذي يستدرك عليه مثله او اكثر فاين « علابط » و « علاكد » و «حلاحل» والكثير مما جاء على هذا البناء .

(٥٢) وجاء في الصفحة ٥٩ باب فعلال ذكر فيه المصنف اربعة الفاظ وقصر في اضعاف مضاعفة فاين الصفصاف واللبلاب والقمقام وغير ذلك . وهل من الحق ان يذكر من اسماء الاعلام « بهرام » و « شهرام » ويغفل عشرات الالفاظ العربية .

(٥٣) ومما يوجه الى المحقق ان يرجع الى كتاب هو «المقاصد النحوية» للكشف عن الشواهد النحوية واللغوية . والذي نعرفه ان غير هذا الكتاب جملة مصادر رئيسة للوفاء بهذا المطلب .

(٥٤) وجاء في الصفحة ٦١ باب « فيعول » وذكر المصنف فيه بضع عشرة كلمة منها « جيحون » وهو اسم نهر بلخ . ولا ادري لم لم يذكر « سيحون » الذي يرد في المصادر القديمة كثيرا مع « جيحون » .

(٥٥) وجاء في الصفحة ٦٢ باب « فعلول وفنعول » وفيه الفاظ كثيرة ليس بينها طحلوب ودعموص وغضروف وزرزور وعرقوب وحذفور وعنقود وغير ذلك كثير .

(٥٦) وورد في الصفحة ٦٤ :

« العضروط التابع ونحوه » .

اقول : وهو الخادم او الاجير باكل بطنه .

(٥٧) وجاء في الصفحة ٦٦ قول المصنف :

« وهي الستوقة » .

ورد اللفظ في « القاموس » قال : والبستوقة من الفخار معرب وفي « تا جالعروس » : ونقله الصاغاني ، وقال : معروفة .

اقول : والكلمة من اللغة العراقية التي ما زالت حية في اللغة الدارجة وهي بفتح الباء . والعامة تفتح ما عرف بضم الاول في العربية الفصيحة فهم يقولون : عصفور وحلقوم وزرزور وخرنوب وغير ذلك .

(٥٨) وجاء في الصفحة ٦٩ باب فعلال وهو معوز مفتقر الى الكثير من المواد فلا تجد مثلا « ضرغام » و « حمنان » و « سندان » و « درفاس » او « درباس » بمعنى اداة من الادوات . ومن العجيب انه يذكر «ضرغامة» المؤنث ولا يذكر المشهور وهو « الضرغام » مذكرا .

(٥٩) وجاء في الصفحة ٧٢ باب فعلالة ذكر المصنف فيه بضعة الفاظ ليس فيها الكثير مما ورد على هذا الباب فاين القسبارة والقشبارة ؟

(٦٠) وجاء في الصفحة ٨٠ باب « فيعلى » اربعة الفاظ ليس بينها الهيدبى او الهيذلى لضرب من السير .

(٦١) وجاء في الصفحة ٨٢ باب « فيعلان » خمسة الفاظ ليس فيها « سيسبان » لضرب من النبات .

(٦٢) ومما جاء في الصفحة ٩٥ من باب « فيعلول » قول المصنف :
« والنيطرون المضرم » .
اقول : وليس في معجمات العربية النيطرون ولا المضرم . قال ابن دريد في الجمهرة (٣/٤٠٤) :

انه لم يرد كلمتان في هذا الوزن مصنوعتان قالوا : عيدشون وصيخدون .

وبعد ان ينتهي الكلام على ابواب الاسماء السالمة و « المكررة » اي المضعفة يبدأ بالكلام على ابواب الفعل السالم وهي الابواب الستة المعروفة . والذي نلاحظه ان المصنف لم يستوف في كل باب الافعال كلها التي ترد عليه وهو يشير الى مصادرها احيانا او انه يكتفي بالمصدر الذي فعله يرد على الباب المذكور دون ان يذكر الفعل .

وهو حين يذكر الفعل على باب من الابواب لا يشير الى وروده على باب آخر وانما يعود فيكرره في الباب الذي يليه . ومن امثلة ذلك الفعل « نبغ » يرد على باب نصر ينصر فلا يشير الى باب ضرب ولا الى باب فطع الذين يرد عليهما الفعل كما تشير الى ذلك كتب اللغة وهو يكتفي بمصدر « الدباغ » بالكسر ولا يشير الى المصدر المشهور وهو « الدباغة » ودلالته على الحرفة والمهنة من مصادر الثلاثي ولم يشر الى « الدبغ » وهو المصدر المشهور .

واعود فالخص ان ما يستدرك على الفارابي في ديوان الادب مادة كثيرة تعدل نصف الكتاب برمته .

وهو بعد ان ينتهي من الافعال الثلاثية السالمة يبدأ بالمهموز ثم المضعف ثم سائر اوزان المزيد حتى ينتهي هذا الجزء ويليه الجزء الثالث ثم الرابع وسنعود الى ذلك .

جامعة بغداد — كلية الآداب — ابراهيم احمد السامرائي

* * *

أين تجد امين الريحاني

اعداد ألبرت الريحاني — باللغتين العربية والانجليزية — ٥٦٠ صفحة — حجم كبير مجلد — منشورات المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت

يتميز كتاب « اين تجد امين الريحاني » الذي وضعه ألبرت الريحاني شقيق فيلسوف الفريكة ، والصادر مؤخرا عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، يتميز هذا الكتاب بالنقاط الخمس التالية :

اولا : ان السيرة التفصيلية التي وضعها المؤلف عـن صاحب « قلب لبنان » جاءت متميزة بالدقة والموضوعية بالاضافة الى المعلومات الجديدة التي تلقي ضوءا هاما على الريحاني ونشاطاته الثقافية والسياسية المختلفة . ففي الانتاج الغزير الذي اعطاه الامين رافقته حياة حافلة غنية ومليئة بالاهتمامات الفكرية والادبية والفنية في لبنان والولايات المتحدة والعالم العربي .

ثانيا : يعرض الفصل الاول من البيبليوغرافية لكامل مؤلفات الريحاني المنشورة والمخطوطة ، العربية والانكليزية ، مع مختلف طبعاتها وترجماتها الجزئية والكاملة وما كتب عن كل مؤلف على حدة في الصحف والمجلات من مقالات واخبار وتعليقات نقدية بحيث توفر للباحث مشقة اكتشاف هذه المصادر والمراجع فيتمكن من الانصراف الى الدراسة والبحث حول نتاج الامين وما يجمعه هذا الكتاب من مواد مكملة لها .

ثالثا : الثبت المتعلق بالكتب التي وضعت عن الامين يعطي فكرة واضحة وتفصيلية عن مختلف الجوانب التي عولجت جزئيا او كليا حول الاتجاهات الادبية والسياسية التي عرف بها فيلسوف الفريكة . فبعد مؤلفاته تأتي المؤلفات الموضوعة عنه بحيث تستكمل بها المكتبة التي تشكل مادة الدراسة الاساسية حول ادب الريحاني .

رابعا : يفرد المؤلف فصولا متعددة حول ما كتب في الصحافة حول حياة الامين ونتاجه . وقد احسن تصنيف هذه المواد وتبويبها وفق مواضيع عامة واخرى تفصيلية . ففيما كتب عن سيرة الريحاني مثلا تندرج المواضيع التالية : الريحاني والمرأة ، الريحاني ومي زيادة ، الريحاني وجبران ونعيمة ، شخصيته ، تنقلاته في الشرق والغرب الخ ... وفي موضوع الريحاني الاديب تندرج المواضيع التالية : الريحاني الناقد والفيلسوف والشاعر والرحالة والخطيب والمحاضر الخ ... وفي موضوع الريحاني السياسي تندرج المواضيع التالية : الريحاني والوحدة العربية ... والقضية الفلسطينية ، ... والنفط ، التوسط بين نجد والحجاز الخ ... بحيث لا تنتهي من الكتاب الا وتكون قد اطلعت على كافة الجوانب التي تعطيك صورة متكاملة عن الامين .

خامسا : اهمية الجداول الاحصائية والبيانية تكمن في تفصيلها ودقتها بحيث تختصر بالارقام كل ما ورد في الكتاب . فالجدول المتعلق بمؤلفات الريحاني مثلا يشير الى سن الامين يوم وضع كل كتاب من كتبه والمدة التي قضاها في تأليف كل كتاب ، ومكان وزمان هذا التأليف مع عدد المقالات التي كتبت عن كل مؤلف على حدة . اما الجدول المتعلق بالفنون الادبية التي كتب فيها ، فيحصي عددها (وهي عشرة) كما يحصي عدد المؤلفات المدرجة تحت كل فن من هذه الفنون ثم مجموع الصفحات والنسب المئوية للفن الواحد بالنسبة لسواه . وكذلك الجدول الذي يتناول الدول التي كتبت عن الريحاني ، وقد بلغ عددها ٤٦ دولة ، واللغات المختلفة التي تناولته والبالغ عددها ٢٣ لغة .

الملاحظة الوحيدة التي يمكن تسجيلها على الكتاب هي ان بعض الفصول الهامة جاءت قصيرة ومقتضبة بالنسبة لفصول اخرى اطول واوسع . لكن هذا لا يمنع من ان كتاب « اين تجد امين الريحاني » يعتبر نموذجا بيبليوغرافيا رائدا لهذا النوع من التآليف العلمية الاكاديمية التي ما تزال نادرة في العالم العربي .

« قارىء »

* * *

الحركة الادبية في دمشق
(في القرن التاسع عشر)
١٨٠٠ — ١٩١٨

تأليف الدكتور اسكندر لوقا — ٣٣٤ صفحة — مطابع ألف باء/الاديب بدمشق

لا ابالغ اذا قلت ان كتاب « الحركة الادبية في دمشق » في القرن التاسع عشر ، الذي نال به الاديب السوري القاص اسكندر لوقا شهادة الدكتوراه في الآداب ، من معهد الآداب الشرقية في بيروت بتقدير شرف اول عام ١٩٧٥ ، يعتبر بحق من اجود الكتب التي صدرت في هذه الايام ، ان لم يكن اجودها على الاطلاق ، لانه سلط فيه الاضواء على فترة معتمة جدا من تاريخ الادب العربي في دمشق ، في القرن التاسع عشر .

قدم الكتاب الدكتور جبور عبد النور ، الذي كان قد اشرف على الاطروحة ، وهي نفس الكلمة التي القاها امام لجنة المناقشة المؤلفة من :

١ — المرحوم الدكتور ميشيل الار ، مدير معهد الآداب الشرقية .

٢ ــ الاستاذ الدكتور عبد الكريم رافق ، رئيس قسم التاريخ بجامعة دمشق .

٣ ــ المرحوم الدكتور سعيد البستاني رئيس الجامعة اللبنانية .

يتألف الكتاب ، الذي صدر حديثا عن مطابع ألف باء ــ الاديب ، من خمسة فصول ، واربعة عشر ملحقا ، احتلت ثلاث مئة وثلاثا وثلاثين صفحة من القطع الكبير ، وصمم غلافه المؤلف نفسه .

تحدث في الفصل الاول عن خلفيات الحركة الادبية في دمشق ، في عهد ثمانية من سلاطين بني عثمان هم على التوالي : سليم الثالث ، مصطفى الرابع ، محمود الثاني ، عبد المجيد ، عبد العزيز ، مراد الخامس ، عبد الحميد الثاني ، محمد رشاد الخامس .

وتحدث في الفصل الثاني عن التعليم ، والطباعة ، وخزائن الكتب ، والصحافة ، والجمعيات الادبية والتمثيل .

اما الفصل الثالث فقد بحث فيه عن الاتجاهات الادبية فقسمها الى ثلاثة اقسام هي :

١ ــ الاتجاه السكوني ، او ما يسمى بالاتجاه السلفي او المحافظ .

٢ ــ الاتجاه الانتقائي ، او ما يسمى بالاتجاه الاصلاحي .

٣ ــ الاتجاه المستقبلي ، ويعني به الاتجاه الذي يحاول تجاوز المعوقات التي تشد المفكرين والادباء والشعراء الى الوراء ، او تجعلهم يدورون في مواقعهم . كما ناقش في هذا الفصل المقولات النظرية لكل من هذه الاتجاهات واسبابها ، وذلك تمهيدا للفصل الرابع الذي افرده لبحث الفنون والموضوعات الادبية الاخرى .

وتحدث في الفصل الرابع عن الفنون والموضوعات الادبية فقسمها الــى :

١ ــ الموضوعات التقليدية كالدينيات وهي كل ما يدور حول مناجاة الخالق ، ومدح الرسول وآل بيته ، مما يسمى بالبديعيات .

٢ ــ الادب الاجتماعي : كالمدح ، والهجاء ، والفخر ، والتهاني والرثــاء .

٣ ــ الادب الوجداني التأملي : كالغزل ، والنسيب ، والتشبيب ، وما يلاقي المحب من لوعة وفراق .

٤ ــ الادب التسجيلي : وهو ما يسمى بأدب التراجم والسير والرحلات والرسائل ، وكلها فنون موروثة حفل بها ادب القرن التاسع عشر .

اما الفصل الخامس والاخير ، فقد تحدث فيه عن الموضوعات الادبية الجديدة ، كالمقالة الصحفية ، وادب القصة ، والادب التمثيلي ، واشهر اعلام كل فن من هذه الفنون . كما عقد في نهاية كل فصل من الفصول السابقة ، خلاصة عامة ، اوجز فيها ما كان قد فصله ، تسهيلا على الــدارس .

احتلت ملاحق الكتاب الاربعة عشر مئة واربعا واربعين صفحة اعطت الكتاب اهمية كبيرة في نظري ، وهي ان دلت على شيء ، فانما تدل على ذهنية المؤلف المنظمة ، ودقته الشديدة في البحث والتحليل ، ووعيه التام لموضوعه ، ولا يستغرب هذا من الدكتور لوقا الذي امضى سنوات عديدة رئيسا لقسم الارشيف في وزارة الاعلام السورية ، والمكتب الصحفي في القصر الجمهوري ، واتبع في عمله المتشعب طريقة الجذاذات (الفيش) التي كان يسجل فيها كل الافكار والمعلومات والجزئيات التي تهمه ، والتي يعثر عليها اثناء تنقيبه وبحثه في المصادر والمراجع الكثيرة التي لجأ اليها .

لقد قصد المؤلف بهذه الملاحق سهولة المراجعة ، والوصول الى المعلومات المطلوبة باقل وقت ممكن ، شانه في ذلك شان كبار المستشرقين والمؤلفين في الغرب . ان مجرد القاء نظرة عابرة على هذه الملاحق ، يكفي لان ياخذ الدارس فكرة اجمالية عن الحياة الادبية في دمشق خلال القرن الماضي ، دون ان يقتضي ذلك منه صرف الجهد ، والوقت . ولا بأس ان نثبت هنا هذه الملاحق كما وردت : ١ ــ سلاطين بني عثمان ، ٢ ــ ولاة دمشق ، ٣ ــ مدارس دمشق في القرن التاسع عشر ، ٤ ــ اسماء الصحف والمجلات ومؤسسيها في دمشق ، ٥ ــ الصحف والمجلات التي اسسها الدمشقيون خارج مدينتهم ، ٦ ــ الجمعيات العربية ، ٧ ــ الآثار المخطوطة والمطبوعة لادباء دمشق واهم مصادر دراستهم ، ٨ ــ المؤلفات المطبوعة في دمشق ، ٩ ــ المؤلفات المخطوطة للادباء الدمشقيين ، ١٠ ــ ادباء دمشق بحسب سني الميلاد ، ١١ ــ ادباء دمشق بحسب سني الوفاة ، ١٢ ــ اهم الاحداث في تاريخ الدولة العثمانية ، ١٣ ــ كلمات ومصطلحات متداولة في العهد العثماني ، ١٤ ــ فهرس ادباء دمشق .

لقد اعترف المؤلف في مقدمة كتابه بأن اقدامه على دراسة هذه الفترة المظلمة من تاريخنا الادبي كان كمن « يقتحم ظلمات مغارة مهجورة منذ وقت طويل ، باستثناء بعض البؤر الضوئية على جدرانها » ولعل خلو المكتبات العربية من الكتب التي تؤرخ لهذه الفترة الادبية الطويلة ، راجع الى صعوبة الوصول الى هذه البؤر ، بالاضافة الى عدم جدوى البحث عن الضوء في قلب الظلام .

عاش الادب العربي حتى بداية عصر النهضة الحديثة ــ الذي حدد بدخول نابليون مصر ١٧٩٨ ــ في بيئة يسيطر عليها الجمود والتحجر وتقليد السلف ، ومحاكاتهم ، حتى ان السنوات الممتدة بين ١٨٠٠ ــ ١٨٧٥ لم تسجل اية ظاهرة ادبية تتجاوز هذا الطابع ، وهو ما اطلق عليه المؤلف الاتجاه السكوني ، دلالة على تمسكه بالواقع الراهن ، وقد امتد هذا الاتجاه حتى نهاية العهد العثماني .

بعد هذا التاريخ بدأت عوامل النهضة الحديثة تظهر في : المطبعة ، والصحيفة ، والمسرح ، واخذ ادباء دمشق يتململون ويتحركون ، ويتصلون بزملائهم في القاهرة وبيروت ، ولا سيما اثناء حملة ابراهيم باشا على سورية بين عامي (١٨٣١ ــ ١٨٤٠) وراحوا يطالبون بانفصال الاقطار العربية عن تركيا ، حتى ان قسما منهم فضل الارتماء في احضان الغرب على سياسة التتريك ، وهي السياسة التي مارسها غلاة العثمانيين والمتطرفون منهم .

ان معرفة الدكتور اسكندر لوقا باللغة التركية(١) ساعدته على فهم وتفسير الكثير من الالفاظ والمصطلحات التركية التي وردت في الدراسة ، وهكذا جاءت مكتملة ، خالية من الثغرات ، جيدة التوثيق ، سهلة المراجعة ، يمكن ان يستفيد منها طلاب قسمي اللغة العربية والتاريخ في الجامعات ، ولا سيما طلاب الدراسات العليا فيها .

لقد وفر بعمله الجيد هذا الكثير من الجهد والتعب على من يريدون معرفة سير الحركة الادبية في دمشق في القرن التاسع عشر ، فاستحق بذلك كل شكر وتقدير .

---

(١) ــ ولد الدكتور اسكندر لوقا في لواء اسكندرون عام ١٩٢٩ ، ونزح الى دمشق عام ١٩٣٩ ، واصدر منذ عام ١٩٥٠ حتى الآن اكثر من ستة عشر كتابا في القصة القصيرة ، واللغة التركية ، والاختزال العربي ، والدراسة الادبية ، يعمل الآن في المكتب الخاص لدى رئاسة الجمهورية ، ويحاضر في جامعة دمشق .

دمشق ــ ٤٨ قصور ــ كزبري

عيسى فتوح